

الغوص من على اللؤلؤ

الغوص نظام: اقتصادي، اجتماعي، ثقافي
الإمارات نموذجاً

مريم جمعة فرج



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث
HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER

الغوص على اللؤلؤ

الغوص نظام: اقتصادي، اجتماعي، ثقافي

الإمارات نموذجاً

مريم جمعة فرج



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث

الغوص على اللؤلؤ

مريم جمعة فرج



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث

HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER

ص.ب: ٣٣٣٥٥٠٠ دبي، هاتف: ٣٧٣٧٠٠٠ ٤ ٩٧١ +

WWW. hhc- gov. ae

info@hhc. Gov. ae

@hhcgovae

@hhcgovae

HHC Gov



الطبعة الأولى ٢٠١٤ م

جميع الحقوق محفوظة

هذا الإصدار خاص بمركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الإصدار بأي شكل كان (بما في ذلك النسخ المصورة أو استخدام الوسائل الإلكترونية) من دون الموافقة المكتوبة لأصحاب حقوق النشر. وينبغي توجيه الطلبات الخاصة بالحصول على الموافقة المكتوبة لأصحاب حقوق النشر بهدف إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب، إلى الناشرين طبقاً لقانون حقوق النشر الدولي لعام ١٩٥٦م، وللقانون الاتحادي رقم (٧) لعام ٢٠٠٢م الخاص بحقوق النشر الخاصة بالمنشئ الأصلي والمنشئين الثانويين. وكل من يتصرف بما يخالف حقوق النشر المذكورة سيكون عرضة للملاحقة القانونية والمطالبة بالأضرار الناجمة عن ذلك.

ISBN 978-9948-22-594-2

طبع ونشر في الإمارات العربية المتحدة

الغوص على البؤل

إلى جانب التاريخ السّاحر للإمارات، يتمُّ إعادة الاكتشاف تدريجياً عبر آثارها، عن مغامرةٍ مثيرةٍ لصيد اللؤلؤ، وهو تراثٌ وطنيٌّ عريقٌ في دولة الإمارات، أضفى على هذا الجزء من العالم نفوذاً عالمياً لا نظير له، وغير معروفٍ لمعظم الشعوب

كزافيه، ١٩٩٥م



مُقدِّمةُ المركز

يُولي "مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث" متمثلاً في إدارة البحوث والدراسات، اهتماماً بالغاً بكلِّ ما يتعلّق بإصدار ونشر البحوث الأكاديميّة في مختلف أوجه التراث والتّاريخ الإماراتي بشكلٍ خاص، والعربي والإسلامي بشكلٍ عام. ويأتي هذا الاهتمام انطلاقاً من رؤية سمو الشيخ **حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم**، وليّ عهد دبي؛ التي تؤكّد أنّ التراث مصدر قوّة للأمم، يمثّل شاهداً على تاريخها، كما يُبرز عراقة ماضيها وأصالة تاريخها.

وتحقيقاً لهذه الرؤية الحكيمّة؛ فإنّ مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث يسعى جاهداً إلى طلب المعرفة والمعلومة وتقصيّها والوصول إليها عن طريق البحث العلمي، الذي يستند إلى مناهج علميّة معترف بها في مجال جمع التراث وتدوين التّاريخ.

وتمشياً مع هذه الرؤية؛ تُقدّم للقارئ باكورة إصداراتنا؛ المتمثّل في هذا البحث الذي يحمل عنوان:

"الغوص على اللؤلؤ: الغوص كنظام: اقتصادي، اجتماعي، ثقافي". ولقد ارتأينا في هذا العمل الاعتماد على الشهادات الحيّة، إلى جانب الكتب والدراسات الموثقة، وذلك إيماناً منا بعلاقة التراث الشّفهي بالتاريخ، وفي هذا الصّد يقول أحد الكُتّاب: "إنّ التراث الشّفهي وثيق الصّلة بالتّاريخ، ذلك أنّ الأوّل يُعدّ مرآة المرحلة الحضاريّة التي يعيشها الناس، وهو يُعبّر عن أفكارهم وعواطفهم، كما أنّه يصرّ شيئاً غير يسير من النّظم الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة السائدة، بل إنّ بعض الباحثين يعتقد أنّ التّاريخ المدوّن وُلِد في أحضان التراث الشّفهي"^(١).

وهو ما سعيّنا إليه بالفعل في هذا البحث، دراسة مرحلة الغوص على اللؤلؤ في الإمارات كنظام اقتصادي، اجتماعي وثقافي. إنّ الاهتمام بالمصادر الحيّة لتدوين التاريخ ضرورة لفهم الكثير من الحقائق التاريخيّة التي تمرّ بها الشعوب. ولذلك نرى الاهتمام بالمصادر الشفهيّة؛

(١) عبد الله العسكر. ٢٠٠٩م.

وهو اهتمامٌ متزايدٌ لدى الباحثين على مستوى العالم، وبخاصّةٍ في الدُّول المتقدّمة، كبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكيّة. وعلى الرّغم من أنّ الاعتماد على التاريخ كما يُقال، قد بدأ منذ نشأة العلوم الإنسانيّة، إلّا أنّ الأصل هو الرّواية الشّفهيّة، وإلى اليوم فهي المكمل للنّصّ المدوّن، تساعد على فهمه وشرحه والتعرّف إلى أبعاده وتفصيله.

ولقِلّة البحوث التي تُقدّم المهن التراثيّة التي عمل فيها أهل الإمارات ولا يزالون من منظورٍ اقتصادي، اجتماعي وثقافي، يُعتبر هذا البحث خطوةً مهمّةً في طريق البحث التّراثي القائم على الشّهادات الحيّة، ونأمل أن يسهم في تحفيز الباحثين على مواصلة الإنتاج البحثيّ الذي يسهم في حفظ وفهم تراث وتاريخ دولة الإمارات العربيّة المتّحدة.

إدارة البحوث والدراسات

مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث



افتتاحية

اللؤلؤ نعمة من نعم الخالق التي أودعها في باطن البحار وقيعان المحيطات، وجعلها كنوزاً ذات قيمة مادية ومعنوية، وهي آية من آيات الله في خلقه وعظمة كونه. وقد ذُكر اللؤلؤ في مواضع عدّة في كتاب الله تعالى، مُخبراً الإنسان عن كنزٍ يُوجد في البحر، في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾^(٢). واختصَّ الله سبحانه وتعالى أهل الجنة بأساور من اللؤلؤ، دلالة على رُقيّه ومكانته الرّفيعّة بين الجواهر والأحجار الكريمة، قال تعالى: ﴿يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(٣).

وقد أطلق أهل الإمارات اسم "قماش" على المجموعة من اللؤلؤ، والمفرد "قماشة".

إنه ذلك الجوهرُ الفريدُ الصّعبُ المنال، الذي كان البحث عنه محفوفاً بالتحديات والأخطار. وربما رهن الغوّاص أو "الغيص" كما يطلق عليه أهل الخليج، نفسه ثمناً للحصول على حبة واحدة منه لكي يعود خاسراً الرّهان في نهاية المطاف.

لقد كان هذا الدُرّ النّفيس سراً من أسرار الطبيعة وأسطورة من أساطيرها التي ألهمت قريحة الشعراء والأدباء، وحيرت الآخرين على مرّ العصور. كما كان محطّ أنظار الجميع ومطعم الكثيرين. وهو ثروة الماضي ورفاهيته وتراث الحاضر الذي تأسّست عليه حضارة يُقدّرُ الباحثون وعلماء الآثار عمرها بحوالي ٧٠٠٠ عام.

وإذا كانت مهنة الغوص على اللؤلؤ وبخاصّة في مرحلة الرّواج الاقتصادي أو "الاستثمار"،

قد عُرِفَتْ بأنّها مصدر اطمئنانٍ لأهل الإمارات، باعتبارها مصدر دخلٍ ثابتٍ تقوم عليه حياتهم

(١) [سورة الرحمن - ٢٢].

(٢) [سورة النحل - ١٤].

(٣) [سورة الحج - ٢٣].

اليومية، إلى جانب ما تحقّق في تلك المرحلة من إنجاز اجتماعي وثقافي، فإنّ عوامل مهمّة ومستجدات إقليمية شهدتها المنطقة، منها اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، وانتشار اللؤلؤ الياباني المزروع المنافس للطبيعي الخالص؛ أدّت إلى تدهور مهنة الغوص، وظهور ما يُعرف "بالكساد الاقتصادي" في حياة مجتمعات الخليج العربي، إذ لم تُعد هذه المهنة مصدر دخل قوميّ أو فرديّ يؤمّن الحياة لسكان المنطقة، في أعقاب توقّف رحلات الغوص شيئاً فشيئاً، وعُزوف أهل المنطقة عن ممارسة مهنة الغوص على اللؤلؤ.

وفيما تسعى الدّراسات والبحوث التراثية والاجتماعية والتاريخية في الوقت الحاضر، إلى جمع وتوثيق المزيد من التفاصيل المتعلقة بمهنة الغوص على اللؤلؤ، وهو ما يشكل أهميةً بالغةً بالنسبة لنا؛ فإنّ ما يمثّله هذا الموروث من القيم الإنسانية السّامية التي ورثناها، والتي نحرص على أن تكون منهجاً حياتياً أخلاقياً نسعى إلى الاستفادة بما يتماشى منه مع روح العصر. إنّنا في دولة الإمارات حريصون على تخليد هذه المرحلة من تاريخنا الذي نأمل أن تتناقله الأجيال ليبقى في الذاكرة.

الرئيس التنفيذي

لمركز حمدان بن محمد لإحياء التراث

عبد الله حمدان بن دلوّك



تهيد

يتناول هذا البحث أحدَ الجوانب المهمة المتعلقة بمهنة الغوص على اللؤلؤ في دولة الإمارات، وهو الغوص كنظام حياة، وذلك بتسليط الضوء على بعض تفاصيل الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مرحلة تاريخية مهمة هي مرحلة ما قبل اكتشاف النفط. ويغطي النقاش في الأساس ما يُعرف بحقبة الزواج الاقتصادي الذي شهدته مرحلة الطفرة في تجارة اللؤلؤ، من نهاية القرن التاسع عشر وحتى العقدين الأولين من القرن العشرين.

اجتماعياً يُلقى الضوء على جزئية مهمة، وهي تأثير هذه المرحلة على الجانب المعيشي اليومي من حياة الناس على اليابسة، وبعض الآثار المترتبة على ذلك. في حين يتناول الجانب الثقافي التفاصيل المتعلقة بالحياة الثقافية في تلك المرحلة أو ما يعرف بـ (ثقافة اللؤلؤ)، ويغطي ذلك الأدب الشعبي من الشعر والحكايات والأمثال والألغاز، وفنون الموسيقى والغناء والأهازيج الشعبية البحرية على وجه الخصوص، وعلوم الملاحة. كما يستعرض بعض الصعوبات التي واجهتها مهنة الغوص في مرحلة الطفرة.

وبوجه عام يعتمد البحث في منهجيته على التسلسل التاريخي، كما يهدف إلى التعريف بمهنة الغوص على اللؤلؤ بصورة نتمى أن تكون أكثر دقة بما تُضيفه من معلومات، خاصة مع قلة الدراسات والبحوث المفردة لبعض التفاصيل، على الرغم مما هو متوافر من وثائق ومعلومات شفوية مهمة، وعلى الرغم مما قام به عدد من الباحثين المهتمين من بحوث ودراسات قيمة. إضافة إلى اتباعه أسلوباً علمياً في جمع المعلومات وانتقاء المناسب منها، من حيث علاقتها بالموضوع. وهو بذلك يقوم على جانبين:

1- نظري: يهدف إلى جمع المعلومات من شتى المصادر، وتتضمن المراجع والوثائق المكتوبة وما إلى ذلك من الصور وأفلام الفيديو.

2- ميداني يشمل المقابلات الشخصية و(الروايات الشفهية) التي نحصر

على تعددها لتعزيز المضمون ودعم القيمة التاريخية للبحث.

يُقسَّم البحث إلى أربعة فصولٍ تتضمَّن أجزاءً مسلسلةً حسب ترتيبها. وفي ختامه نتمنَّى أن يكون قد نوَّه إلى أهميَّة ما يتعلَّق بالحياة في مجتمع الإمارات في فترةٍ تاريخيَّةٍ مهمَّةٍ هي مرحلة الغوص على اللؤلؤ أو ما قبل اكتشاف النِّفط. كما نتمنَّى أن يكون إضافةً حقيقيَّةً لِمَا سبقه من دراساتٍ وبحوثٍ قيِّمةٍ في هذا الجانب.



الفصل الأول

نبذة تاريخية:

تأتي مرحلة الغوص على اللؤلؤ، لا سيما مرحلة الاستثمار أو "الرّواج"، كحقبّة تاريخيّة مهمّة لعبت دوراً بارزاً في حياة المجتمعات العربيّة الخليجيّة في مرحلة ما قبل النّفط. وبالإضافة إلى عوائدها الماليّة فقد كان لها دورٌ مهمٌ في حياة هذه المجتمعات اجتماعياً وثقافياً وسياسياً. وفي الإمارات وغيرها من دول المنطقة، تكمن أهميّة هذا الدّور في النّظام "المعيشي" الذي واکبها، بقوانينه وقواعده المحدّدة المنظّمة لأُمور الحياة، سواء كان ذلك على ظهر سفينة الغوص أو حياة النّاس في المجتمع على البرّ (ما كان يُعرف في الإمارات بالبلاد). لذا؛ أصبح البحث فيها من الأولويات الواجب على الباحثين والأكاديميين والمشتغلين في مجالات الاقتصاد والاجتماع والثّقافة وغيرها الاهتمام بها. كما يستلزم ذلك السّعي إلى إظهارها كمرجعيّة تاريخيّة وتراثيّة مهمّة أمام الأجيال الناشئة، وكقراءاتٍ ضروريّة لكلّ مَنْ يهّمه التّعرّف على حياة مجتمعات الخليج العربي وتطوّرها عبر مراحلها التاريخيّة المختلفة.

7000 عام من الصناعة التي شكّلت منطقة الخليج:

الواقع أنّ ما يعنيه مصطلح مرحلة الغوص على اللؤلؤ، هذه الثّروة الكامنة في أعماق البحار يتجاوز حدود تصوّرنا لتلك المرحلة. فقد كان اللؤلؤ باستمرار رمزاً للقوّة والسُّمو المادّي والمعنوي، وأسلوباً فريداً للتعبير عمّا يجيش في النّفس البشريّة من مشاعر وعواطف إنسانيّة. فالحبُّ بمفهومه الإنساني الوجداني لدى شعوب العالم المختلفة، كان يعبر عنه هذا الكائن الأسطوري على مرّ العصور. ونظراً لِمَا يتميّز به من سِحْرٍ وألّقٍ وغموضٍ، فقد خلّدته الأساطير والحكايات والملاحم والأدب الشعبي، وربّطته بقطرات النّدى وحبّات المطر المتساقطة من السماء والدُّموع المترققة في عيون الحسان وضوء القمر. أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبیر

قال: "إذا قطر القطر من السماء فتحت له الأصداف فكان اللؤلؤ". كما خلّدته أبيات الشّعْر وكتب التاريخ والتّراث. تقول الأسطورة التي يعود تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد إنّ البطل السومري "جلجامش" ربط قدّمه بثقلٍ وغاص في أعماق المحيط باحثاً عن لؤلؤة الخلود في أعماقه حتّى وجدها. هكذا يقدّم التاريخ وصفاً ملحمياً لرحلة الغوص على اللؤلؤ التي امتنّتها رجالنا الأشداء الذين عاشوا على ضفاف الخليج العربي.

كتب الجواهري الإنجليزي الشهير "ديفيد جيفريز"^(١) في مؤلفه الذي أهداه إلى ملك إنجلترا "جورج الثاني": أنّ لآلئ الخليج تأتي في المنزلة التالية بعد الماس مباشرةً من حيث قيمته، وأوّل شيءٍ ملفتٍ فيها أنّ جمالها من صنع الطّبيعة". والواقع أنّ حقبة استغلال اللؤلؤ أو القماش كسلعةٍ اقتصاديةٍ في منطقة الخليج تعود إلى مرحلةٍ مبكرةٍ من تاريخ المنطقة. وعلى الرّغم من أنّ تلك الحقبة لا يمكن تحديدها بشكلٍ دقيقٍ، إلا أنّ بعض الرّحالة يؤرّخ للغوص على اللؤلؤ كمهنةٍ عرفها التاريخ من بداية الألف الخامس قبل الميلاد مع استمرارها في العقود التي تلت القرنين الأول والثاني الميلاديين، إلى أن شهدت نوعاً من الازدهار في القرن الخامس عشر الميلادي^(٢). وتحتوي المراجع الدينية والأدبية (الشعرية على وجه الخصوص) على الكثير ممّا يُعرف عن هذه المهنة التي استمرّت مع ظهور الإسلام في عام ٦٢٩ ميلادياً. يورد "المسعودي" 893 - 956 وصفاً دقيقاً لما كان عليه التبادل التجاري بين المناطق الواقعة في منطقة المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي. كما يأتي على ذكر الساحل العربي من الخليج المسمّى "بلاد البحرين" المنطقة المقابلة لسواحل فارس ومكران والسند، التي عرفت تنظيمًا دقيقاً لمهنة صيد اللؤلؤ.

وعلى الرّغم من أنّ الإمارات لم تكن مركزاً اهتمامٍ كبيرٍ بالنسبة للدراسات الأثرية والتاريخية التي اهتمّت على نحوٍ أكبر بمنطقة ما بين النهرين والأجزاء الواقعة على السّاحل الفارسي من الخليج، إلا أنّ مجموعةً من الاكتشافات الأثرية التي قام بها المتخصّصون في المنطقة، أظهرت عدداً من المكتشفات الأثرية ذات العلاقة بتجارة اللؤلؤ، من بينها ما عُثر عليه في موقع حفريات "الدور" بأم القيوين، الذي يشتمل على بعض القطع الأثرية المستخدمة كأدواتٍ للغوص في الفترة ما بين القرن الأوّل وبداية القرن الثاني الميلاديين. كما أنّ الإشارة إلى اشتغال سكّان هذا الجزء من العالم بمهنة الغوص قد وردت في العديد من الوثائق والخرائط التي ذُكر فيها باسم "ساحل اللؤلؤ". يشير "كارستين نيبوهر" المستكشف وعالم الخرائط الألماني الشهير،

الذي أرسله ملك الدنمارك فريدريك الخامس إلى شبه الجزيرة العربية وسوريا ومصر، بكلّ دقّةٍ وتحديدٍ على

(١) ديفيد جيفريز ١٧٥.

(٢) المصدر السابق.

خريطة الخليج التي نشرت في كتابه "وصف شبه الجزيرة العربية" ١٧٧٢ إلى مواقع صيد المحار، وهي منطقة تتطابق تماماً مع ساحل الإمارات الحالي^(١).

وكما ورد في كتاب "بحر اللؤلؤ: سبعة آلاف عام من الصناعة التي شكّلت منطقة الخليج"، تحديداً الفصل الخامس "ظهور مراكز القوى العربيّة للغوص على اللؤلؤ ١٨٢٠ - ١٧٠٠م" لمؤلفه "روبرت.ا. كارتر" الذي يستند في معلوماته على التقرير الصادر عن "شركة الهند الشرقية الألمانية ١٧٤٩م"، فقد أشار المؤلف إلى أنّ مطلع القرن التاسع عشر قد شهد بزوغ نجم عددٍ من المدن الجديدة، على الساحل العربي لمنطقة الخليج يعمل أهلها بتجارة اللؤلؤ، وأنّ غالبية هذه المدن تحوّلت اليوم إلى مدنٍ وعواصم كبيرة تضمّها دولة الإمارات العربية المتّحدة. كما يحدّد تاريخ نشأة مدن اللؤلؤ هذه في منطقة الخليج العربي بالسنوات ما بين عامي ١٧٦٠ و ١٨٢٠م بالتزامن مع نشأة مدنٍ جديدةٍ ومهمّةٍ أخرى في كلّ من قطر والبحرين والكويت، حيث شهدت المنطقة هجرة عددٍ من القبائل العربية النازحة من الجزيرة العربية، ومن الجزء الواقع على الساحل الفارسي من الخليج، وهي هجرةٌ حدثت لأسبابٍ تتعلّق بالرغبة في تقاسم الثروة الماديّة المترتبة على تجارة اللؤلؤ.

كما أنّ قيام هذه المدن الحضريّة واتّساع نشاطها كمراكز لتجارة اللؤلؤ، مهّد لحدوث جملةٍ من التغيّرات المهمّة، وبخاصّةٍ ما يتعلّق بظهور القوانين المنظّمة لممارسة مهنة الغوص على اللؤلؤ. ويأتي على رأس هذه التغيّرات، القوانين المتعلّقة بتمويل رحلات الغوص والعائد المادي الناتج عن تجارة اللؤلؤ. وقد أدّى ذلك إلى انتقال الهيمنة الاقتصادية من يد السُلطة المركزيّة القديمة إلى نظامٍ جديدٍ تغلب عليه السُلطة القبليّة، استمرّ إلى المرحلة التي شهدت نهاية المهنة.

يذكر المؤرّخون أنّ مُدُنًا ازدهرت، مثل "أبوظبي" التي انتقلت عاصمتها من واحة "ليوا"

عام ١٧٩٣م، على يد حاكمها من قبيلة "بني ياس" و"دي" التي ينتمي أهلها إلى نفس القبيلة وتشتهر بقلعتها التي بنيت عام ١٧٩٩م، على يد أبناء قبيلة "البوفلاسة"، وهم فرع من قبيلة بني ياس، و"الشارقة" التي ورد ذكرها كإحدى أهمّ ثلاثة موانئ لتجارة اللؤلؤ في سنة ١٧٥٦^(٢)، والتي تعود نشأتها كمدينةٍ حديثةٍ لتجارة اللؤلؤ إلى مطلع القرن التاسع عشر، و"أم القيوين" التي تسكنها قبيلة "آل علي"، ويعود تاريخها إلى الحقبة ذاتها، و"عجمان" التي كانت تسكنها قبيلة

"النعيم"، والتي ذكرها المؤلف البريطاني "مورير" كإحدى أهمّ مغاصات اللؤلؤ^(٣)، و(جلفار) "رأس الخيمة"

(١) كزافييه، ١٩٩٥م.

(٢) لويجي دي فارثيما، ١٥٠٨.

(٣) هيوز توماس، ١٨٠٩.

المركز التاريخي لتجارة اللؤلؤ، ومركز قوى قبيلة القواسم "المدينة الطيبة"^(١). فقد تربّعت هذه المدن على قَمّة الازدهار في تلك المرحلة التي تميّزت بارتفاع العائد المادي المترتب على التوسّع في حجم الأسواق العالمية التي كان يتمّ تداول أموال اللؤلؤ فيها.

وكان ممّا ترتّب على هذا التطوُّر، ارتفاع أعداد المشتغلين بمهنة الغوص على اللؤلؤ في الإمارات لتصل إلى ٣٥٠٠٠ رجلٍ موزعين على شتى أنواع المهن المتعلقة بالغوص على اللؤلؤ، خاصةً مع زيادة أعداد المهاجرين الباحثين عن الرِّزق من مناطق قريبة كالبحرين وفارس وبلوشستان، بالإضافة إلى العمالة المحليّة من الحضر والبدو. فيما يقدِّرها لوريمر بـ ٧٤٠٠٠ سنة ١٩٠٥م. كما تراوحت أعداد سفن الغوص الكبيرة ما بين ٣٠٠٠ و ٤٥٠٠ سفينة. وتمّ اكتشاف مغاصات لؤلؤ إضافية جديدة "هيرات". انظر، جدول رقم ١ "صادرات الإمارات من اللؤلؤ ومحار اللؤلؤ خلال الفترة ١٨٧٣ - ١٩٠٦م، والسفن وعدد الرجال العاملين في مغاصات اللؤلؤ سنة ١٩٠٧م"^(٢).

الرواج الاقتصادي:

خلال هذه المرحلة تمتّعت المنطقة بوجهٍ عام بفترةٍ من الانتعاش الاقتصادي الذي بدّا واضحاً، واستمرّ حتى العقدَيْن الأولين من القرن العشرين، وتحديدًا حتى اكتشاف اللؤلؤ الصّناعي ١٩٢٤م، ثمّ اكتشاف النّفط ومُنح أولى امتيازات حقوق التّنقيب عنه للشركات العالمية، في منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين. إلا أنّ مرحلة الرّواج أو الطّفرة هذه من المراحل التي يعتبرها العديد من الباحثين، ومنهم "روبرت كارتر" في كتابه "بحر اللؤلؤ"، مرحلةً مهمّةً أسهمت في وضع اللّبنة الأولى التي تأسّست عليها دول الخليج الحديثة.

وكما أسهمت تجارة اللؤلؤ في إنعاش الأوضاع الاقتصادية داخلياً، فقد لعبت على الصّعيد الخارجي دوراً مهماً تمثّل في تقوية وتوسيع العلاقات الاقتصادية والثقافية، خاصّةً بين دول الخليج العربي، وبينها وبين جيرانها من الدّول الأخرى كالهند وإيران ودول أخرى. وبناءً على ذلك فقد تشكّلت الأساطيل المكوّنة من سفن الغوص التّابعة لدول الخليج. وحسب المصادر فقد كانت السفن تخرج في موسم الغوص فيما يُعرف بـ "السنّيار"؛ أي مجموعة السفن المكوّنة لأسطول الغوص الذي يقوده السّردال. وفي الإمارات توزّعت الأساطيل التّابعة لكلّ إمارة.

فكان كلّ أسطولٍ يخرج من إمارته؛ يخرج أسطول أبوظبي من مدينة أبوظبي، فقد قُدِّر عدد السفن التي تملكها أبوظبي منذ أواخر القرن التاسع عشر بأربع سفنٍ من طراز "البغلة الكبيرة" و "البثيل" وأربعمئة قاربٍ

(١) فلور، ١٩٨٤.

(٢) نجيب الشامي، ١٩٩٥.

صيد، منها ٢٥٠ مخصصة لصيد اللؤلؤ. ويخرج أسطول الشارقة من مدينة الشارقة، وكذلك عجمان وأم القيوين ورأس الخيمة، انظر جدول رقم ٢ "نجيب عبد الله الشامسي".

أسطول دبي:

يذكر التقرير الخاص الصادر عن "متحف اللؤلؤ، بنك الإمارات دبي الوطني ٢٠٠٣م"، أنَّ عدد بحّارة أسطول دبي في سنوات الطفرة، وصل إلى ٨٠٠٠٠ بحّار ينتمون إلى الإمارات المتصالحة، موزعين على قوارب يحمل الواحد منها ١٠٠ شخص. وتتراوح مرحلة الزواج هذه في دبي ١٩٠٠ - ١٩١٢م، مع بداية استحواذها على الموقع المهم الذي كانت تتمتع به مدينة "لنجة" على الساحل الشرقي للخليج العربي، وحسب تقرير للرحالة الألماني "هيرمان لويخارت" ^(١) ١٩٠٤م؛ فإنَّ "حاكم دبي الشيخ مكتوم بن حشر المكتوم استفاد من فرصة رحيل التجّار عن "لنجة" إلى السواحل العربية من الخليج، وقام بإلغاء ضريبة الوارد التي تُحصّل على السلع المستوردة والبالغة ٥٪، معلناً بذلك دبي منطقة حرة". ومع هذا التطوّر بدأت أعداد من تجار اللؤلؤ النازحين من تلك المنطقة بعرض بضائعهم ورؤوس أموالهم المتمثلة في البيوت الفخمة المزودة بـ «البراجيل» ^(٢) في سوق دبي، إضافة إلى تخصّصهم في إعادة تصدير اللؤلؤ إلى الهند. ومن العوامل الأخرى التي أسهمت في النمو الاقتصادي لدبي في هذه المرحلة التي اشتهرت خلالها كمركز لتجارة اللؤلؤ وإعادة تصديره، هجرة أعداد كبيرة من العاملين في مهنة الغوص من الجزيرة العربية ومناطق قريبة من دول الخليج والجزء الواقع على الساحل الفارسي مصحوبين بعائلاتهم إلى المنطقة خاصة دبي، وقد وُفّر هؤلاء الأيدي العاملة لما تتطلبه صناعة الغوص. وتعد هذه الهجرة المحرّك الرئيسي للعمل في صناعة الغوص على اللؤلؤ، حيث أسهمت في تسهيل مهمّة سفن الغوص والعاملين على ظهرها. كما أسهمت أيضاً في تطوير مهمّة مهمّة على اليابسة، ساهم في إنعاشها عدد كبير من المهاجرين، كالعمل في بناء السفن (الجلاليف) والحدادة والبيع في البقالات والمحال التجارية، إلى جانب مهن صغار الموظفين والبنايين وغيرهم من الحرفيين.

(١) محمد فارس الغارس، ٢٠١١.

(٢) جمع بارجيل ويعني فتحة التهوية، واستخدم لتهوية المنازل قديماً، وأصل الكلمة فارسي.

في حين أنَّ ازدهار الملحوظ لتجارة اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي عموماً، هو ذلك الذي شهدته في الفترة ما بين الربع الأخير من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، فقد تميّزت هذه الفترة بأنها مرحلة استثمار مصائد اللؤلؤ كـرديفٍ اقتصاديٍّ لصيد الأسماك، استطاع أن يتفوّق في عائدته المادي على حرفة صيد السمك التي لم يكن باستطاعتها المساعدة على الاستقرار. ومع ازدهار تجارة اللؤلؤ، ارتفع العائد الاقتصادي والحضاري المرتبط ببناء المدن الحديثة (أبوظبي، دبي، الشارقة، رأس الخيمة، عجمان، أم القيوين) والتّهوض بالحياة الاجتماعية والثقافية في المنطقة. كما ظلّ الغوص على اللؤلؤ هو المهنة الرئيسية في دولة الإمارات والخليج العربي، واستمرَّ إلى منتصف القرن العشرين بالتزامن مع انهيار سوق الغوص على اللؤلؤ.

العوامل التي ساعدت على ازدهار تجارة اللؤلؤ في منطقة الخليج:

- ١ - توافر اللؤلؤ الثمين في بحر الخليج العربي.
- ٢ - زيادة عدد المغاصات في منطقة الخليج العربي مقارنةً بمناطق أخرى في العالم.
- ٣ - وفرة رؤوس الأموال اللازمة لتسيير رحلات الغوص، على الرغم من صعوبة ذلك في البداية.
- ٤ - توافر السفن ذات الأحجام الكبيرة، وهي من متطلّبات رحلات الغوص.
- ٥ - وعلى الرغم من شحّ المادّة الأساسية اللازمة لصناعتها وهي الخشب، إلا أنَّ جلب الأخشاب من سواحل شرق أفريقيا وشبه القارة الهندية أسهم في تقديم حلولٍ مهمّةٍ للمشكلة.
- ٦ - استطاعت هذه الصّناعة أن تجذب إليها الأيدي العاملة المحليّة والوافدة من مناطق قريبةٍ في شبه الجزيرة العربيّة وساحل فارس، وهو ما أسهم في ازدهار اقتصاديات الغوص.



الفصل الثاني

مصادر اللؤلؤ "الهيرات"

مصادر الدخل القومي

تمهيد:

كانت عائدات الغوص تمثل نحو ٧٠٪ من الدخل القومي. فيما كانت العمالة في هذا المجال تشكل نحو ٨٥٪ من القوى العاملة في الإمارات. وبناءً على هذه المعطيات فقد ارتبط تطوّر مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى السياسية، بهذا المصدر القومي. وكانت خطة العمل تبدأ برحلة الغوص السنوية. حيث عادةً ما يتوجّه الرّجال إلى البحر في شهر مايو من كلّ عام، وتستمرّ الرحلة أربعة أشهر. وفي اليوم الأوّل تخرج آلاف السفن من المدن الواقعة على الخليج العربي متّجهةً إلى مغاصات اللؤلؤ، حيث تتجمّع فيما يشبه التّكتّلات؛ ممّا يوفّر لها الحماية الكافية، ويمنح طواقمها فرصة التعرّف إلى بعضهم والعمل في أماكن متقاربة نسبياً. غير أنّ نقاط التّجمّع تلك لم تكن تحتوي كلّها على المغاصات أو الهيرات، بل كانت هناك أماكن محدّدة كمغاصات يوجد بها اللؤلؤ، معروفة لدى نواخذة السفن وبعض الخبراء في مجال الملاحظة. كما كانت تلك الأماكن مرسومةً على الخرائط، وأشهرها المرسومة في القرن التاسع عشر والّيصّف الأوّل من القرن العشرين والمكتوبة باللغة العربية أو اللغات الأجنبيةّة.

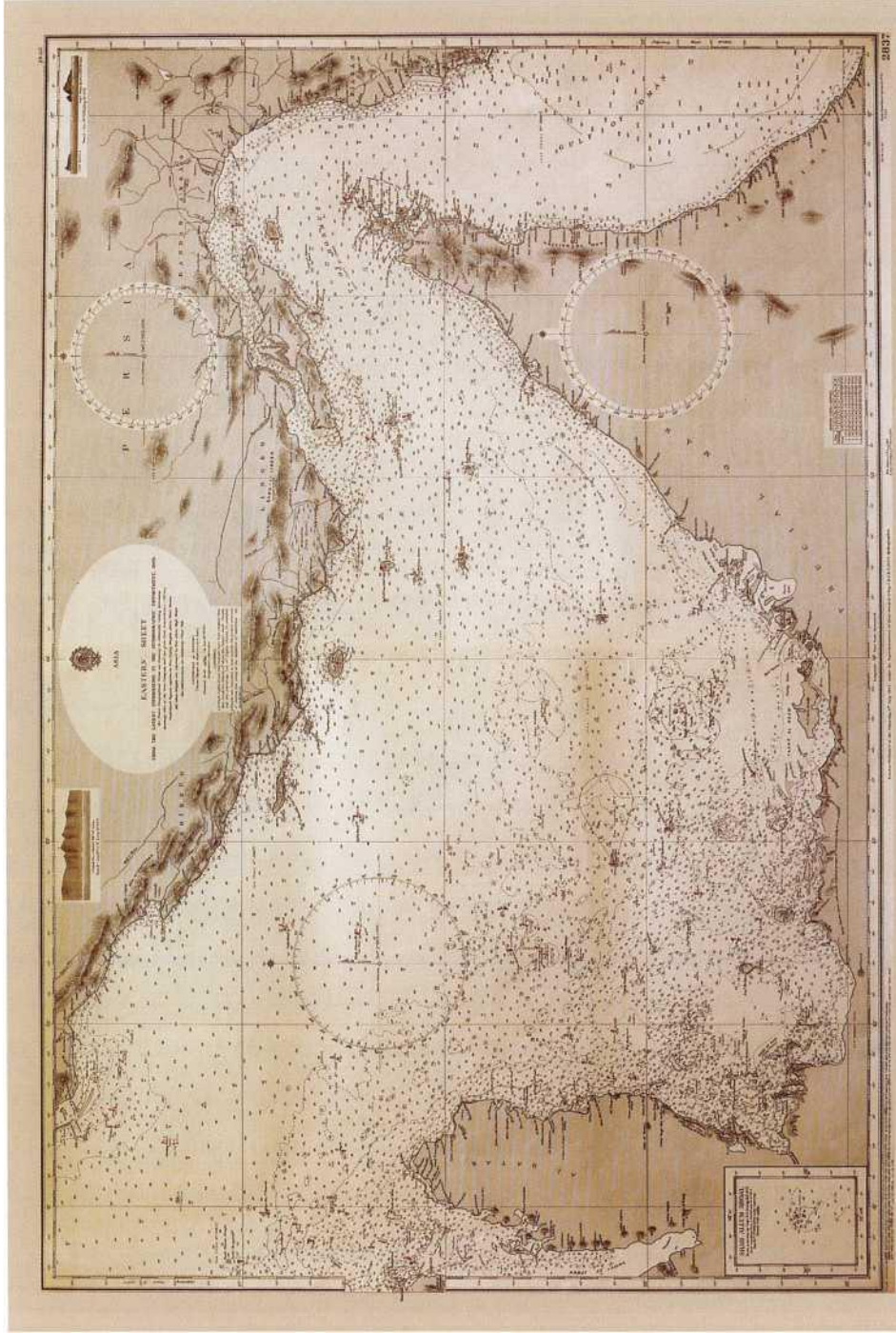
تكوّن اللؤلؤ في المحار:

تتكوّن اللؤلؤة نتيجة دخول كائن غريب أو ذرّة رملٍ أو ما شابه إلى جوف الصّدفّة، وهو ما يدفع الكائن الرخوي الذي يسكن بداخل المحار لأنّ يُدافع عن نفسه بفرز مادّة تكسو الجسم الغريب لتجعله أملس مستديراً وناعماً. وتتوقّف جودة اللؤلؤة على مدى قدرة الكائن الرّخوي على الفرز، فإذا كان قوياً وكثيفاً تكوّنّت لؤلؤة كبيرة مستديرةً ولامعةً البياض. وقد أطلق على المحار مسمّيات معينة تحدّد نوع اللؤلؤ الموجود بداخله. ومن أهمّ هذه المسمّيات "المصقولة"، وهي المحارة الكبيرة النظيفة ذات اللّون الجذّاب الملساء من الخارج.

"الفصمة" أي المحارة الصغيرة، "العسرينة" وهي محارة بين المصقولة والفصمة، "الصفد" وهذا النوع ينذر اللؤلؤ بداخله إلا أنَّ له استخداماتٍ أخرى، حيث تُصنع منه أدواتٌ للزينة، مثل "مراود الصفد" المستخدمة لوضع الكحل في العين. وهناك "الخالوف" وهي من الأصداف التي ينذر وجود اللؤلؤ بداخلها، ويُعرف بحدّة أطرافه التي تلحق الأذى باليد. "الصديفي" وهو لا يحتوي على اللؤلؤ الكبير الحجم. أمّا بقيّة أنواع الصّدف فيطلق عليها اسم محار، مفردها محارة وتوجد بكثرةٍ في مياه الخليج.

الهيرات (مغاصات اللؤلؤ):

يطلق مسمّى الهيرات على مواقع بعينها في قاع البحر. وتتميّز بقاعها الصّخري الذي تنمو عليه الطّحالب والشّعاب المرجانيّة والمحار بأنواعه المختلفة. وغالباً ما يُستعان بالسردال للكشف عن هذه المواقع. ومن أشهر المهتمّين بأمّاكن الهيرات وتنظيمها، المرحوم الشيخ "مايع بن راشد" ١٩٣٧م، الذي قام بجهدٍ شخصيّ برسم خارطته الشّهيرة التي يمسح فيها المنطقة من "مضيق هرمز" إلى "رأس بوعلي" لتشمل منطقة الخليج. كما وضع الرحالة الأجانب ومنهم البريطانيون خريطة توضح مناطق الغوص على اللؤلؤ في الخليج العربي.



صورة لخريطة بريطانية بأماكن الهيريات

غير أنَّ الخبراء يرجّحون عوامل مساعدة محدّدة كانت تلعب دوراً في تكوين مغاصات اللؤلؤ أو الهيراث، وهي: التركيب الجيولوجي لقاع البحر ودرجة الحرارة وضحالة المياه، ولدى توافر هذه العوامل تكون هناك بيئة مناسبة لنموّ محار اللؤلؤ. وعن الوثائق التي تعزّز القول بتمركز المغاصات أو الهيراث بكثافة في الجزء العربي من سواحل الخليج، ما ذكره مساعد المقيم البريطاني في منطقة الخليج "ديوراند" في تقريره الذي كتبه عام ١٨٧٨م، عن أنّ "الأصداف أو المحار موجودٌ في مياه الخليج على الجانب العربي فقط من رأس مسندم في مدخل الخليج، في شريطٍ طويلٍ إلى عمق الخليج العربي".

ويُضيف التّقرير أنه لا توجد هيراثٌ معروفةٌ على الجانب الفارسي، وأنه رأى عيّناً من اللؤلؤ الصّغير الحجم الأصفر اللون الشديد اللّمعان الذي جمع من جزيرة "خرج" المتاخمة لجزيرة "بوشهر" الإيرانية. كما يسمّي التقرير بعضاً من أشهر الهيراث في سبعينيات القرن التاسع عشر، ومنها "شتيا" و"جمرة" و"عرفيجان". ويذكر "لوريمر"^(١) أنّ مصطلح هير أيّ مغاص يُطلق على المغاصات ذات القيعان المستوية التي توجد في المياه غير العميقة الصّافية، وتحتوي على شعبٍ مرجانيةٍ دقيقةٍ مائلةٍ إلى البياض. أمّا تلك التي توجد في القيعان غير المستوية والمحاطة بمياهٍ أعمق، فتسمّى "نجوات"، وتلفظ بالخليجيّة "نيوات جمع نيوه"^(٢)، الحزام الذي يحوي أهم المغاصات في الخليج.

بشكلٍ أكثر دقّة. يُضيف لوريمر "إنّ معظم هيراث اللؤلؤ تمتدّ في خطّ ساحل عمان على بُعد أميالٍ قليلةٍ غرب مدينة دبي، ويمرّ شمال جزيرة "صير بونعير"، ثمّ ينحني لمسافة ٢٠ أو ٣٠ ميلاً من أقرب أرضٍ ساحليّةٍ حول قطر والبحرين، ويتناقص حزام الهيراث شمال البحرين من حيث العرض، وينتهي عند جزيرة "أبو علي"، على الرّغم من وجود بعض الهيراث الصغيرة إلى اليسار من جزيرة "أبو علي"، أمّا عمق المياه وهو الأمر الذي يلعب دوراً مهماً في تحديد أهمية المغاصات، فيبلغ من ١٠ - ١١٥ قامّةً بين ساحل عمان وقطر، ولكن هناك بعض الأماكن التي يبلغ فيها عمق المياه بين ٢٠ - ٢٣ قامّةً، كما أنّ هناك بعض المغاصات التي يبلغ عمق المياه فيها ٩٣ قامّةً، وهي التي تعتبر المناسبة والرئيسية لعمليات الغوص في الجزء العربي من الخليج. أمّا أكبر الهيراث فيذكر "إنّ أكبر الهيراث وأكثرها إنتاجاً تقع على الجانب العربي من الخليج وتُستغلّ سنوياً، وأغناها تلك التي تقع "شمال وشرق البحرين".

كما تتعدّد المصادر المهمّة التي تحتوي على وصف ومواقع الهيراث، ويحدّد "لويس بيلي"

(١) لوريمر، ١٩١٥م.

(٢) جمعة خليفة بن ثالث، ٢٠١٠م.

المقيم السياسي البريطاني في الخليج في مجموعة من مذكراته التي كتبها في منتصف القرن التاسع عشر عن اللؤلؤ، أماكن بعينها قريبة من رأس الخيمة، بالقول: "تمتدُّ مغاصات اللؤلؤ على طول الساحل العربي من الخليج، أسفل ميناء الكويت بقليل باتجاه الشمال حتى المناطق المجاورة لرأس الخيمة جنوباً. وتعتبر المغاصات على طول الساحل العربي ملكاً للعرب بصفة عامة. على سبيل المثال يمكن للغواص الكويتي الغوص على طول ساحل البحرين أو رأس الخيمة والعكس. بيد أنه لا يحقُّ لأيِّ شخصٍ ليس من عرب الساحل الغوص هناك".

ولقد كانت هنالك محاولات أجنبية للغوص في هذه المناطق واستثمارها لصالح جهات وشركات أجنبية منذ منتصف القرن التاسع عشر. ومقترحات من بعض المسؤولين البريطانيين والهولنديين وغيرهم بالبدء في ذلك على نحوٍ جادٍ، ما يعني أنَّ اللؤلؤ كمصدرٍ للثروة القوميَّة في منطقة الخليج العربي، كان قد شكَّلَ مطمعاً حقيقياً ونواةً للاستغلال الاقتصادي. كتب البارون "فون كيتنهاوزن" ممثِّل شركة الهند الشرقية الهولندية، الذي كان يقيم في جزيرة "خرج"، تقريراً إلى مدير المجلس الأعلى في "بتافيا" بتاريخ ١٥ أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٧٥٧م، واقترح فيه إقامة منشأة في الجزيرة لتطوير صيد وتجارة اللؤلؤ في المنطقة. وفي هذه الوثيقة التي تحمل عنوان "صيد اللؤلؤ" في الخليج عام ١٧٥٧م، عبَّر عن آرائه حول الاحتمالات الكبرى للتنمية الصَّناعية لصيد اللؤلؤ، وقَدَّم مقترحاتٍ باستخدام معدَّاتٍ غوصٍ زجاجيَّةٍ للغواصين.

إلا أنَّ هذا المقترح لم يتحمَّس له الهولنديون في بلادهم في ذلك الحين، على الرَّغم من الوجود الهولندي القوي في الخليج ومنافسته للوجود البريطاني، قبل الهيمنة البريطانية التامة على المنطقة في أوائل القرن التاسع عشر. وممَّا هو معروفٌ عن تلك المرحلة أنَّ البريطانيين لم يسمحوا لغيرهم باستغلال مغاصات اللؤلؤ، كما فرضوا غراماتٍ على من يخالف القوانين.

أهم مغاصات اللؤلؤ (الهيرات):

يذكر عبد الله حمدان بن دلموك أنَّ أهمَّ مغاصات اللؤلؤ أو (الهيرات) التي كانت تقصدها سفن الإمارات هي: أبو البزم، مدورة، أبو الحنين، المعترض، اللجة، محزم، أبو البخوش، أم الشيف، أبو الخوص، مصدج، أبو الضلوع، أبو الطبول، أبو حصير، رقة داس، أم الخشاش، أريلة، ياسر، أبو الغبار وهير الظهاير وهو عبارة عن أربعة هيرات متشابهة وهي أبو القرب، أبو الحصا، أبو الشعرية، و أم العنبر^(١).

(١) عبد الله بن دلموك، ٢٠١٣م.

عناصر تتحكم في قيمة اللؤلؤة:

تتحكم في قيمة اللؤلؤ عناصر كثيرة منها كما ذكر ابن دملوك:

1 - الحجم:

يَتَّخِذُ تِجَارُ اللُّؤْلُؤِ (الطواويش) مجموعة (طوس)، وعددها سبع طوس، وهي أوانٍ مثقوبةٌ ولك إناء حجم خاص للثقوب. توضع فوق بعضها بعضاً، بدءاً من الأكبر أو الأوسع ثقوباً إلى الأصغر أو الأضيق ثقوباً.

وكل لؤلؤة تبقى في الطاسة ولا تنفذ من ثقوبها عند رفع الطاسة الأولى مثلاً، ويتحدّد حجمها بحجم ثقب تلك الطاسة. اللؤلؤ الذي يبقى في الطاسة الأولى يسمّى (رأس)، وهو الأكبر والأجود. أمّا الذي يبقى في الطاسة الثانية فيسمى (بطن). اللؤلؤ الذي يبقى في الطاسة الثالثة يسمى (الذيل). وفي محاولة لقياس فتحات الطّوس، وجد أنّ فتحات الطاسة الأولى ١٨٪ من البوصة تقريباً. وفتحات الطاسة الثانية عبارة عن ١٥٪ من البوصة، والثالثة ١٣٪ من البوصة، والرابعة ١١٪ من البوصة.

2- الوزن:

معرفة (الطواويش) بأوزان اللؤلؤ، حدّدت ثمنه وساعدتهم في عمليات البيع والشراء حسب أسعار العملة التي كانت متداولة آن ذاك، ومن أهم الأوزان: المئقال، الدوكرة، الجو، الحبة، الرقي، الآنة، بدام، باية، مزور.

3 - الصنف:

يشمل الصّنف هنا نوع اللؤلؤ وشكله ولونه وخصائصه الظاهرة كاللمس واللمعان، وهذا يؤثر في تحديد ثمن اللؤلؤ.

4- الاستدارة:

كلّما كانت اللؤلؤة كاملة الاستدارة أو أقرب لذلك، كانت أجود وأغلى سعراً.

٥- اللون:

يُعَدُّ صفاء اللون أحد أهمّ محدّدات السّعر، واللؤلؤة الأقرب لِلّون الأبيض المتشرب قليلاً بالحمرة، هي الأغلى ثمناً والأكثر طلباً في السُّوق.

أصناف ومراتب اللؤلؤ:

لدى تجّار اللؤلؤ أسماءٌ وتصنيفاتٌ للؤلؤ، وهي كما يلي: من اللآلئ الأعلى سعراً والأجود نوعاً إلى الأقلّ سعراً وجودةً:

١ - الجيون: وهو أفخر الأنواع على الإطلاق والأعلى سعراً، تكون حبّاته كبيرةً كاملةً الاستدارة والصّفاء. لونها أبيض مائلٌ للاحمرار على الأغلب، خالٍ من أيّ عيوبٍ، وسطحه لامعٌ لا خدوش فيه. ويعود الاسم في أصله إلى اللغة الإنجليزية، ويتكوّن من شقّين، هما: حرف "الجي" الذي يرمز لكلمة "جريد" ون "أي الدرجة الأولى

(G.1) Grade one.



دانائات/ دون وجيون

٢- اليكة: والجمع يك، وهو نوعٌ جيّدٌ أيضاً يلي الجيون في المرتبة، وكلّما اقترب من صفات الجيون، زاد سعره، إلا أنه صغير الحجم. كلمة "يك" فارسية الأصل، وتعني الأوّل، وقد أطلقت عليه للدلالة على أنه لؤلؤ من الدّرجة الأولى في الجمال والنقاء.



قماش الأصلي في الخليج يباع في الهند/ الصغار يكة



حصابي ويكة/ دون جمع دانة

٣ - القولوا: وهو نوعٌ أقلُّ جودةً من النوعَيْن السابقين، والمفرد منه يسمَّى (قولوه).



القولوا

- ٤ - البدلة: وهو أقلُّ جودةً من الأنوع المذكورة سابقاً.
- ٥ - البوكة. صنفٌ جيّدٌ من اللؤلؤ، لكنّه صغير الحجم وله وزنٌ خاص، وتسمّى الأوزان التي توزن بها البوكة عند عملية البيع والشراء (المثاقيل).
- ٦ - الخشرة أو الكجرة: وهو أدنى أصناف اللؤلؤ، ويشبهه في شكله ذرّات التُّراب، ويُعدُّ من أردى الأنواع.



دانة أسترالية/خشرة

٧- الناعمة: يُطلق على هذا النوع مجموعة الناعمة أو النواعم، وهو صغير الحجم.

٨- الشرين: وهو نوعٌ جيّدٌ من اللؤلؤ، ولكنّه صغيرٌ أيضاً.



قماش

تسميات اللؤلؤ:

يسمى اللؤلؤ حسب معايير كثيرة منها ما يسمى حسب:

أولاً: شكله:

١- البطن: وهو شبيهة ببطن الإنسان، نصف كروي.

٢- يالس: وهو النوع الذي له قاعدةٌ وكأنه جالسٌ عليها.

٣- مجهول: اللؤلؤة التي لها قشورٌ تُزال منها بعد إخراجها من المحارة.

٤- عدسي: وهو على شكل حبة العدس.

٥- أم عوينة: حين تكون اللؤلؤة كالعين في محارتها أو صدفتها.

٦- المبحورة: اللؤلؤة التي تسرّب إليها ماء البحر.

٧- الفص: اللؤلؤ اللاصق بالصدفة أو المحارة على هيئة فص.

أوزان اللؤلؤ وكتبه:

للؤلؤ أوزان مختلفة ومتعددة كما كان لهذه الأوزان كتب يعتمد عليها الطواش في تقدير قيمة اللآلئ المعروضة عليه للشراء وهي كالتالي:

١- المثقال: يعادل ٢٤ رتي.

٢- الرتي: ينقسم إلى ١٦ أنه.

٣- الآنه: تعادل ١٦ دوكرة.

٤- الدوكرة: تعادل ١٦ مزور.

٥- المزور: يعادل ١٦ بدام.



ميزان اللؤلؤ

أما بالنسبة لكتب الأوزان التي ذكرناها سابقاً فأهمها:

١- الجوهر العالي في حساب وزن اللآلئ. مؤلف هذا الكتاب "السيد/ هاشم الهاشمي" وهو من إمارة دبي.

٢- كفاية المحتاج. ومؤلف هذا الكتاب "جمعة بن راشد الحاج" من إمارة الشارقة.

٣- كما أن هناك كتاباً آخر للسيد/ سعيد بن محمد العريض المدفع وهو من إمارة الشارقة.

ولقد كان لأهل الخليج مثاقيل والمثقال يساوي (٤,٩٠٠ قمحة) معروفة ومتداولة بين تجّار اللؤلؤ أو الطواويز كما يسمون في منطقة الخليج وهي كالتالي:

١- مثقال البحرين، ويساوي ١٥٠ قمحة.

٢- مثقال قطر، ويساوي ١٦٠ قمحة.

٣- مثقال بومباي، ويساوي ٧٤ قمحة^(١).

قوانين وأعراف المهنة:

كانت عمليات الغوص -وهو المصطلح الذي يطلق على عملية صيد اللؤلؤ- تخضع لقوانين وأعراف محدّدة ومعموّل بها، معروفة منذ مئات السنين في مجتمعات منطقة الخليج العربي. ومن بين تلك القوانين التي عرفتها المهنة "قانون المراجعة" القائم على أعرافٍ محددة. حيث توجد عدّة أطرافٍ تنضوي تحت هذا الجانب.

1- "صاحب المال" أو المموّل. ويسمّى أيضاً "نوخذا بر". وتتجسّد مهمّة هذا الطرف بمديّ الرحلة بالمال. كما يوجد طرفٌ ثانٍ كنوخذا السفينة (نوخذا بحر) يعمل ويتحرّك بالمال، شريطة أن تكون الأولوية في حقّ شراء حصيلة الرحلة من اللؤلؤ للممول. وللاتّفاق على السعر كانوا يلجؤون لخبراء متخصصّين في التّقييم يُسمّون "النصف"، يقدّرون ثمن اللؤلؤ بعد فرزه ووزنه ووضع القيمة له، وهنا يشتري المموّل أو تُترك حريّة البيع في انتظار عودة وإرجاع رأسماله إليه، وما يُعطيه النّوخذة من حصّة يراها مناسبة له.

من القوانين الأخرى الخاصّة بتنظيم المهنة "قانون السيادة والحقوق"، ويعود هذا القانون إلى محاولة البريطانيين تنظيم المهنة وحمايتها من التهديدات الخارجية. وكانت أهمّ التّهديدات التي يمكن أن يتعرّض لها العمل أثناء فترة الغوص عمليات القرصنة، والنزاعات على مناطق صيد

(١) المصدر السابق.

اللؤلؤ بين أصحاب السفن من المناطق ذاتها أو من السفن القادمة من مناطق أخرى على ساحل الخليج، وبالإضافة إلى هذه المشكلات كانت مشكلة هروب الغوّاصين المدينين من أرباب العمل تشكّل تهديداً آخر. وبموجب هذا القانون، يُمنع ارتياد مواقع الغوص على الغُرباء من غير العرب من سكان الساحل العربي الواقع على الخليج. كما وُقِّعت اتِّفاقياتٌ عدَّة (اتفاقيات 1853 - 1892م)، ومن بين بنود هذه الاتفاقيات: منع هروب الغوّاصين والبَحَّارة وتسليمهم في حال العثور عليهم. وحسب هذه الاتفاقيات تُوكل إلى المقيم السياسي في الخليج العربي مهمَّةُ حلِّ المنازعات. كما نصَّت الاتفاقيات على أن يلتزم حُكَّام إمارات السَّاحل بعدم توقيع معاهداتٍ أو القيام بأيِّ تصرُّفاتٍ في مصادد اللؤلؤ مع دولٍ أخرى غير بريطانيا.



الفصل الثالث

منظومة العمل والتقسيم الوظيفي المعمول به في الإمارات

تمهيد:

تخرج سفن الغوص في أساطيل تُعرف بـ "السنيار" تنتمي إلى نفس المنطقة، يقودها "السردال" الذي يُعيّن من قبل شيخ الإمارة. ومهمّة "السردال" هي التّوجيه وإعطاء إشارة بدء رحلة الغوص ونهايتها التي تسمّى "القفال". وفي مرحلة سابقة يكون فريق العمل. والواقع أنّ الغوص مهنة شاقّة فرضتها الضّرورة والحاجة الملحة وقلة الموارد ومصادر الدّخل، الأمر الذي أدّى إلى اشتغال معظم سكّان المنطقة بها. وفي الوقت الذي يكون فيه كلّ من البَحّارة والتّوخّذا قد اتّفقوا على كلّ ما يتعلّق بدور كلّ منهم، يحصل البَحّارة على حصصهم من المال من التّوخّذا، وهو ما ينفقون منه على أسرهم أثناء غيابهم لفترة طويلة قد تمتدّ إلى أربعة أشهر في عرض البحر.

وقد ارتبطت مهنة الغوص على اللؤلؤ بمواسم معيّنة للعمل، حيث يأتي الموسم الرئيسي الطويل الذي يمتدّ إلى أربعة أشهر خلال فترة الصّيف ودَفء مياه الخليج العربي، في حين يأتي الموسم الثاني القصير في فصل الشتاء، نظراً لبرودة مياه البحر. ويُعرف هذا الموسم باسم "القحة"^(١)، وحسبما ورد في "كتاب اللؤلؤ"، القحة هي قاع صخريّ مسطحّ ليس فيه نتوءات، وعادةً ما يكون قُرب الساحل والماء فيه ضحلّ، وفيه ترتاد السفن من نوع "الشاحوف والبقارة" مناطق معيّنة من البحر عادةً ما تسمّى "الظهر"، كظهر جميرا وظهر الخان وظهر الجبل (جبل علي) على سبيل المثال، للغوص لفترة قصيرة تبدأ من الصّباح الباكر وتنتهي بحلول فترة الظهيرة، حيث يعود الجميع إلى منازلهم لتناول الغداء، فيما تُخصّص فترة العصر لفلق الحار. أمّا المرحلة الأخيرة فهي مرحلة قدوم الطواشين إلى الشاطئ لشراء اللؤلؤ الذي يسمّى "مشاق" وبيعه للتجار، ثمّ توزيع حصيلة البيع على جميع البَحّارة بالتساوي دون فَرْق بين رُتبهم، حيث تختلف قوانين القحة عن قوانين الغوص الكبير.

(١) عبد الله الغنيم، ١٩٩٨م.

في الموسم الرئيسي يبدأ العمل على سفينة الغوص منذ اليوم الأول لوصولها إلى الهيرات. حيث يستيقظ طاقم السفينة لصلاة الفجر وتناول وجبة خفيفة من التمر والقهوة، ثم يقومون بفتح المحار أو فلقه بسكاكين خاصة تسمى "مفاليق" تحت إشراف النوخة الذي يجمعها فيما بعد. وهناك فترتان للنزول إلى البحر، واحدة صباحية، وأخرى ما بعد الظهر، حيث يرتدي الغواص أو "الغيص" كما يطلق عليه أهل الخليج سروالاً "شمشول" داكن اللون، ويضع سلّة لجمع المحار في عنقه، تُعرف بـ "الدين"، بينما يسدّ أذنيه بالقطن الصوّفي وأنفه بـ "الفطام"، و يثبت قدمه بثقل "الزبل أو الزين"، ويربط "الجداء أو الإيدا" بحزامه لرفعه إلى السطح، وبوصوله إلى القاع يخرج قدمه من الزبل ليحسب في الماء، ثم يهزّ الحبل بعد انتهائه من جمع المحار ليسحبه بحار آخر يسمى "السيب" إلى السطح. وهناك نظام مكافأة الغواصين الذين يكتشفون أحياناً مغاصات جديدة أو يعثرون على لآلئ ثمينة.

النوخذة:

ينقسم النواخذة الى فئتين هما:

أولاً: نوخذا بر (أو الممول): وهذه الفئة من أصحاب رؤوس الأموال من التجّار. حيث يقومون بتمويل رحلات الغوص. وغالباً ما يتحكّم هؤلاء في حصيلة الغوص من اللؤلؤ في نهاية الأمر، ما يحرم نواخذة البحر من المنافسة على العرض والطلب لتحقيق الربح الأفضل.

ثانياً: نوخذا بحر: تتطلب هذه المهمة من ثوكل إليه أن يكون قوي الشخصية ومن أصحاب الخبرة والمعرفة البحرية؛ ليتمكن من إدارة العمل، ولديه القدرة على تسيير عملية بيع اللؤلؤ. يقوم النوخة بعملية فرز اللؤلؤ. ١* في الطوس ويتلو ذلك استخدامه ما يُعرف بـ "مخاميل اللؤلؤ"، حيث يقوم يومياً بعزل الدّانات واللائي الثمينة المستخرجة من المحار وجمعها في صرّة من القماش، يُطلق على الواحدة منها اسم "تبابه" وجمعها "تباب"، تحتوي على كميات مختلفة في الحجم واللّون والنّوع من اللؤلؤ. وقبل رجوع النّوخة مع بحارته من رحلة الغوص، يعرض عليهم التباب ثم يجمعها كلّها في صرّة واحدة ذات لونٍ أحمر وقماشٍ ناعمٍ مخملي يُسمى "مخمل"، تُعقد أطرافه مرّاتٍ عدّة إلى حين عرض اللؤلؤ على الطواشين لبيعه.

ويُعرف عن المحار أنه لا يلتصق عادةً بالمغاص الذي ينمو فيه، لكن يستقرّ فقط في الرّمّل أو يتعلّق بأجزاء من الشّعب المرجانية والأعشاب البحرية، وفي بعض الأحيان يتجمّع مع بعضه بعضاً في مساحةٍ صغيرةٍ تسمى "تبراه"، وهو كثيراً ما يكون غنياً باللؤلؤ. ويعيش اللؤلؤ في مجموعاتٍ مثل خلايا النحل، تحت قيادة محارةٍ كبيرةٍ في السّن أو محارةٍ جميلة الشّكل، تقوم باتّخاذ الاحتياطات اللازمة ضدّ أيّ خطر يُهدّد على وجه الخصوص صغار المحار.

ويجَدُّ النوخة الثمينة منها، حيث يقوم ببيعها بمعيَّارٍ حسابيٍّ يعتمد على الوزن والنوع، ويسمى "الجاو". والجاو عبارة عن وحدة الوزن بالمثلث المربع مضروباً في ٣٠٠، والتَّحليل الجبري له هو ج = ٢٣٣٠. وبعد حساب الجاو للؤلؤة وتصنيفها، يُضرب عدد الجاو في قيمة جاو اللؤلؤ؛ فتصبح القيمة الكليَّة للؤلؤة مقدَّرةً بالروبية الهندية الخاصة بمنطقة الخليج.

وفي موسم الغوص، يقوم الطواش بزيارة السفن الرَّابضة في "هيرات اللؤلؤ"، حيث يجلب معه بعض الرِّاد ويقدمه لنوخا السفينة الذي غالباً ما يكون من أهله أو من أصدقائه، وهنا يقوم النوخا بعرض المحصول من اللؤلؤ للبيع. وتُعقد عمليَّة البيع بوضع يَدَي النوخا والطواش تحت قطعة قماش، وبإشراف غَوَّاصٍ واحدٍ. وعملية البيع هنا مبنية على الغمز والهمز؛ أي لغة الرموز، وهي حيلةٌ تجاريَّةٌ تنتقص فيها حقوق طاقم السفينة. وبعد حساب الجاو للؤلؤة وتصنيفها حسب النوعية، يُضرب عدد الجاو في قيمة الجاو، فتكون القيمة الكليَّة للؤلؤة مقدَّرةً بالروبية الهندية الخاصة بمنطقة الخليج.

كانت المنامة عاصمة البحرين هي المحطَّة النهائيَّة لكلِّ ما يُجمع من منطقة الخليج من اللؤلؤ. وهناك يُفَزَّرُ ويُوزن ويُباع ويُشترى قبل تصديره إلى بومباي في الهند، ليتم تصديره من جديد إلى الأسواق الأوروبيَّة خاصَّة باريس ولندن. وحسب أنواعها المفضَّلة في مناطق مختلفة من العالم. حيث يفضِّل البغداديون اللَّالئ البيضاء التي تصل إلى أسواق العراق، بينما يفضِّل الهنود والأتراك اللَّالئ الصَّفراء. أمَّا اللَّالئ الرَّديئة وغير المنتظمة الشَّكل، فتجد طريقها إلى إيران. فيما كان البحرينيون يستخدمون اللَّالئ الصَّفراء جداً المسماة "الخاكة" كدواءٍ للعيون بعد سحقها وإضافة بعض الموادِّ إليها^(١).

الطواشة:

الطواشة هي مهنة بيع وشراء اللؤلؤ، ويُطلق على تاجر اللؤلؤ اسم طواش. ولا بدَّ أن يكون الطواش خبيراً بمعرفة أنواع اللؤلؤ وأحجامه وأوزانه، حتى يتمكن من تقدير ثمنه، حيث يُمسك اللؤلؤة أو القماشة بين أصابعه عن قربٍ ليتمكَّن من معرفة لونها ونعومتها وخلوها من الخدوش ومن ثمَّ تقدير جودتها. وهناك أعرافٌ وقوانين معروفةٌ عن الطواشين كانت ماضيةً كحدِّ السَّيف، من بينها ألا يدخل السَّفينة طواشون، بينما طواشٌ آخر يتعامل مع النوخة على ظهرها أو يتفاوض معه. كذلك يُمنع دخول الطواش سفينة الغوص، بينما البحارة لا يزالون يفلقون المحار.

وعموماً يقوم الطواش بشراء اللؤلؤ في البحر قبل أن تنتهي رحلة الغوص، وأحياناً يقوم بعملية

(١) عبد الله بن دلوک، ٢٠١٣م.

الشراء بعد نهاية موسم الغوص لبيعه على كبار التجار. ويكون أحياناً مالِكاً لسفينة الغوص، ممَّا يشير إلى أنه من كبار تجَّار اللؤلؤ. كما يقوم أحياناً بمرافقة سفينة الغوص، بدءاً من اليوم الأوَّل للموسم، إلا أنه غالباً ما يفضِّل اللحاق بسفينة الغوص بعد بدء الموسم الكبير بشهرٍ واحدٍ تقريباً. وفي بعض الأحيان يقوم بعملية بيع المُون للغَوَّاصين والبحَّارة. وكان عدد من الطواشين يصطحبون أبناءهم إلى مناطق في السعودية، مثل "دارين" أو إلى "بومباي" في الهند، إلى جانب بعض مناطق

الخليج العربي و"عدن" وجزيرة "سوقطرة" وسواحل شرق أفريقيا، وذلك لتدريبهم على المهنة.

طواشة القحّة: وفيها يتم بيع حصيلة القحّة من اللؤلؤ، حيث يأتي الطواشون إلى الشاطئ للشراء.

فئات الطواشين:

١ - **طواش اللؤلؤ الممّول:** من الطواشين من يَمُولُ سفن الغوص بما تحتاجه من قروضٍ ماليّةٍ نقديةٍ أو عينية، ويعدُّ هذا التَّمويل اتِّفاقاً مقابل شراء اللؤلؤ كلّهُ من نوحذا السفينة بعد "القفال"، بحيث لا يتصرّف النوحذا في بيع اللؤلؤ على أحدٍ سوى الممّول. ويُعيّن الطواش الممّول أحدَ أبنائه ليذهب في رحلة الغوص مع النوحذا الذي مَوَّلَ سفينته ليراقب بدلاً عنه كلّ ما يجري على ظهر السفينة. وعندما يعود النوحذا مع بحَّارته بعد القفال يُعيّن "مثمناً" محايداً يختاره الطَّرفان لكي تتمّ عملية بيع اللؤلؤ على الطواش الممّول.

١ - **طواش اللؤلؤ الصَّغير:** تتلخَّص مهمّة هذا الطواش في التوجُّه إلى مغاصات اللؤلؤ أو الهيراث مع طاقم السفينة، لشراء اللؤلؤ وبيعه من ثمَّ على كبار الطواشين.

٢ - **طواشة "القحّة":** هي بيع حصيلة طواشة القحّة التي تتمُّ في منطقةٍ قريبةٍ من الشاطئ، وتُستعمل لذلك سفنٌ صغيرةٌ، مثل "الشاحوف" و"البقارة". ومن أشهر طواشي القحّة في دبي (التوير وابن كريشان).

أدوات الطواش:

١ - **الطوس:** وعددها سبعةٌ مصنوعةٌ من النُّحاس، كلّ واحدةٍ بها عددٌ من الثُّقوب أقلُّ من الأخرى. يوضع اللؤلؤ بكل أحجامه فتقوم كلّ منها بحجز اللؤلؤ الأكبر فالأصغر حجماً وهكذا.

٢- الميزان: يُصنع من رقائق الثُّحاس، وله خيطٌ من الحرير، وتَتَّصَلُ به أوزانٌ مصنوعةٌ من العقيق.

٣- المنظار: يُستخدم لفحص اللؤلؤ، ويتكوّن من عدستين.

٤- المغارف: جمع مغرفة، وهي كالمعلقة الكبيرة لِعَرَفِ اللؤلؤ.

٥- السكين: تُستعمل لصقل اللؤلؤ.

٦- البكر: يُستخدم لكسر المحار العالق باللؤلؤ.

٧- جلد الغزال: وهو قطعة جلدٍ يُفركُ بها اللؤلؤ لتلميعه.

٨- الدسيسة: وهي قطعة من القماش الأحمر، يضع فيها الطواش أدوات الوزن والمكاييل والمنظار.

٩- كتاب أوزان اللؤلؤ: وهو الوثيقة التي يعتمد عليها الطواش في حساب أوزان اللؤلؤ.

وبوجهٍ عام، كان الطواش على الرِّغم من معاناته من ظروف الطقس خاصّةً في فصل الصيف أسعد حالاً من العَوَاصِ وأفراد طاقم سفينة الغوص الآخرين، حيث تتوافر على ظهر سفينته كلُّ أسباب الرّاحة، من المكان الواسع المجهّز بما يلزم من مرافق وأثاثٍ، إلى المأكَل الطيّب والماء البارد وحتى الشاي والقهوة. أمّا في مجتمعهم فقد كان الطواشون يشكلون شريحةً اجتماعيةً مميّزة ذات نفوذ.

الدلال:

الدلال في مجال العمل التجاري، هو الوسيط أو السمسار الذي لا يمتلك بضاعةً، لكنّه يملك تفويضاً ببيع بضاعةٍ ما، بسعرٍ ما يعرفه هو وصاحب البضاعة الذي خوّله للتصرّف فيها في المزايدات. وقد يفوّض الدلال في إبرام عقود بيع وشراء بضاعةٍ ما من الطرفين المتبايعين لقاءً مبلغٍ يتفق عليه. وقد اشتهرت مهنة الدلال في تجارة اللؤلؤ، وتُصَفُ صاحبها بالذكاء والفتنة وسرعة البديهة وبُعد النّظر، الأمر الذي يمكّنه من تقريب وجهات النّظر بين الطرفين المتعاقدين أو المتبايعين. وكان يتوسّط بين الطواش والنوخدة أو بين الطواش والتاجر الذي يشتري اللؤلؤ، فيسعى إلى تضيق فجوة الخلاف. وكان يقوم برحلات سفرٍ تجاريةً بالاتفاق مع أحد تجّار اللؤلؤ لعرض أو شراء اللؤلؤ لحساب ذلك التاجر.

اليزوة (البحارة):

وهم العاملون على ظهر السفينة من مقدّمية، ومفردها "مقدمي"، وهو مساعد النوخة وغاصة وسيوب وتبابة ومفردها "تباب"، ويسمّى أيضاً "وليد"، و"فليقان" يقومون بفتح المحار لاستخراج اللؤلؤ ونهامان^(١). وفي الإمارات شارك في هذه المهنة بحارة محليّون، إضافةً إلى بحارة مهرة كانوا يَفِدُّون إلى المنطقة من الباطنة والسواحل بسلطنة عمان وساحل فارس. ويستلم اليزوة حقوقهم الماليّة من التّوخة الذي يوفّر لهم أيضاً كافّة احتياجات الرّحلة من موادّ تموينيّة ومعدّات وأدوات الغوص. وغالباً ما ينتمي هؤلاء إلى الشّريحة الفقيرة في المجتمع. ونظراً لخطورة عمل الغوّاص فهو يمتاز عن بقيّة العاملين، وتكون له منزلة رفيعة لدى الناس عامّةً، وبخاصّةٍ إذا كان غيصاً متميّزاً. يأخذ الغيص ثلاثة أسهم من حصيلة الأرباح، شأنه شأن النوخة الرّبان، في حين يأخذ السيب سهمين فقط. كما لا يُوكل إليه عمل آخر في السفينة غير الغوص، ويكون مكانه في محلّ إقامة النوخة على الرّغم من تناوله الطعام مع بقية الطاقم ما عدا النوخة. في حين يقوم السيب بالعمل كله منذ إنزال السفينة من اليابسة إلى البحر، وجزّها بواسطة الحبال من هيّز إلى آخر.

تجارة اللؤلؤ في الإمارات، وأسواقه:

لعبت تجارة اللؤلؤ دوراً بعيد الأثر في تاريخ واقتصاديات منطقة الخليج العربي. كما برزت كمؤسّسة اقتصادية إلى جانب المؤسّسة السياسية التي تنظّم أمور الحياة في مجتمعات الخليج ما قبل النّفط. وبوصفه مصدراً مهماً للدّخل القومي، فقد شكّل نظام العمل بداخله ما يُشبه القطاع الخاص الذي تُشرف عليه مؤسّسة متكاملة اقتصادياً، كانت مهمّتها تمويل عملية الغوص بتوفير رؤوس الأموال اللازمة لسفن الغوص وبجّارتها. وهناك أيضاً "المسقمون" من الأثرياء الذين يقومون بالدور نفسه. وعموماً فإنّ التّسلسل الوظيفي في هذا المجال يتضمّن الطواشين الذين ينقسمون إلى كبار ومتوسّطين وصغار. وعادةً ما يتّجه صغار التّجار بسفنهم إلى الهيارات لشراء اللؤلؤ. أمّا التاجر المتوسط فيقوم بشراء اللؤلؤ منه ليحصل على ربح مضاعفٍ أثناء بيعه للتاجر الكبير. ثم يقوم التاجر الكبير بجمع حصيلة الموسم والمتاجرة بها في الخارج. يُذكر أنّ العديد من التجار الهنود لعبوا دوراً مهماً كتّجار لؤلؤ. ومن أشهر من عرفتهم سوق دبيّ لِلؤلؤ "جام شان البارسي"^(٢). وقبل الحرب العالمية الثانية كان هذا التاجر يسافر إلى أوروبا وأمريكا لعقد صفقاته، ومن أهّنها التي عقدها مع محلات "كارتييه" في باريس ولندن. وكما كان لهذا القطاع مزاياه، فقد كانت له سلبيّاته التي تمثلت

(١) جمع نّهام، وهو الشخص الذي يقوم بأداء المواويل والأهازيج للترفيه عن البحارة، لا سيما الغاصة لتشجيعهم ورفع معنوياتهم.

(٢) نجيب عبد الله الشامي، ١٩٩٥م.

في استغلال تجار اللؤلؤ لنواخذة السفن بالتحكم في أسعار اللؤلؤ، ليقوم النواخذة باستغلال البحارة بإقراضهم مبالغ يُسدّدونها من نصيبهم في عائدات اللؤلؤ. وكثيراً ما كان البحارة يقعون ضحايا لديون لا يستطيعون تسديدها، وكان أبناؤهم يلزمون بسدادها في حال وفاتهم أو توقّفهم عن العمل. كما كان لاقتراض التجار العرب من التجار الهنود بفوائد مضاعفة أثر كبير في الأزمات التي واجهها العديد من هؤلاء فيما بعد، كما حدث مع التاجر المعروف "محمد بن أحمد بن دلوک" والتاجر "محمد بن بيات"، اللذين وصلا إلى حافة الإفلاس.

أشهر تجار اللؤلؤ في الإمارات:

لقد كانت هناك أسماء لامعة في دولة الإمارات في مجال تجارة اللؤلؤ، نذكر منها هنا الأسماء الكبيرة والمعروفة لدى الجميع في ذلك الوقت، كلٌّ في إمارته.

أولاً: أبوظبي:

- ١ - السيد/ خلف بن عبد الله العتيبة وابنه أحمد.
- ٢ - الشيخ/ حامد بن بطي القبيسي.

ثانياً: دبي:

- ١ - محمد بن أحمد بن دلوک.
- ٢ - مصبح بن زعل بن حمودة وابنه سالم.
- ٣ - محمد عبيد بن مدية.
- ٤ - حميد البسطي.
- ٥ - جمعة الأملح.
- ٦ - آل البدور.
- ٧ - آل الغرير.
- ٨ - أولاد ثاني بن خلف بن الرقاد.

ثالثاً: الشارقة:

- ١ - السيد/ أحمد بن درويش.
- ٢ - السيد/ عيسى السركال.
- ٣ - السيد/ سيف أحمد العبدول.
- ٤ - آل بن كامل.
- ٥ - السيد/ عبيد النابوده.

رابعاً: عجمان:

- ١ - السيد/ ناصر عبيد لوتاه.
- ٢ - السيد/ سيف بن راشد الحمراي.
- ٣ - السيد/ جمعة بن سلطان المهيري.
- ٤ - السيد/ أحمد بن عبد الله لوتاه.

خامساً: أم القيوين:

- ١ - شيوخ أم القيوين أسرة آل المعلا.
- ٢ - السيد/ ناصر بن راشد آل علي.
- ٣ - السيد/ عبد الله بن راشد آل علي.
- ٤ - السيد/ سيف بن سلطان بن صفوان.

سادساً: رأس الخيمة:

- ١ - السيد بن مفتول.
 - ٢ - السيد بن درويش.
 - ٣ - السيد/ علي بن سعيد الشامي
 - ٤ - زمن جزيرة الزعاب التابعة لإمارة رأس الخيمة السيد/ جاسم بن دلم وآل جبر.
- وكذلك كانت لِلؤلؤ أسواقٌ محدّدة يرتادها تجّار اللؤلؤ أو الطوايش في الإمارات وخارجها على المستويين الإقليمي والعالمي، يبيعون فيها ما اشتروه من نواخذة اللؤلؤ. كانت تلك الأسواق هي الجهة التي تحدّد أسعار اللؤلؤ، كما تحدّد الأوزان المتعامل بها في تقييم أثمان اللؤلؤ، وكذلك العملة التي يُعامل بها أثناء عملية البيع والشراء، وهذه الأسواق هي:

- ١ - سوق بومباي.
- ٢ - سوق جزيرة سيلان.
- ٣ - سوق دبي.
- ٤ - سوق البحرين.
- ٥ - سوق الكويت.
- ٦ - سوق لنجة.

وقد سافر تجّار اللؤلؤ إلى لندن وفرنسا لعرض اللؤلؤ، الأمر الذي أدّى إلى إنعاش تجارة اللؤلؤ في الإمارات والخليج.

الفصل الرَّابِع

ثقافة اللؤلؤ

(الإرث الثقافي لمرحلة الغوص على اللؤلؤ)

تمهيد:

كانت حقبة الغوص الطويلة حياةً كاملةً بكلِّ تفاصيلها. وكان اللؤلؤ، هذه الأسطورة مصدر إلهامٍ لثقافةٍ بعينها أفرزتها المرحلة، لتشمل جانباً من فنون الصِّناعة و"الجلافة" أو "القلافة" وهي صناعة السفن، والملاحة والأدب والفن والموسيقى. لقد كان اللؤلؤ يعني الحياة. والحياة تعني التجارة والعمل والرِّزق والمعاملات والعلاقات بين الناس والمناسبات والأفراح والأحزان. كانت الأهازيج والأغاني والمواويل تُنشد، وقصص الشجاعة والمروءة والرجولة والخبرة والمعرفة والحكمة وما له علاقة بالقيم والأخلاق تدور بين الناس لتُرفد حياتهم الاجتماعية والثقافية، وتصبح تلك التجارب مكوّناً من مكوّنات الحضارة. ومن خلال التفاعل اليومي مع البيئة وعناصر الثقافة تلك، تأسّس ما يمكن أن يطلق عليه ثقافة اللؤلؤ.

وإذا كانت مهنة الغوص على اللؤلؤ قد انتهت، فإنَّ ما يمكن الاستفادة منه هو ما خلّفته من موروثٍ ثقافي، تجسّد في القيم والتقاليد العربية الإسلامية التي لا تتنافى مع روح العصر، ويمكن لمجتمعاتنا العربية الخليجية الاستفادة منها على الصّعِيدَيْن الأخلاقي والإنساني. ولعلَّ ما يمكن أن نلقي عليه الضوء في هذا البحث، هو ذلك الموروث الثقافي الشعبي.

1-4 الموروث الأدبي والموسيقي الشعبي: ويتمثل هذا الموروث في الشعر والقصص والروايات الشعبية التي تعكس حياة البحر والعاملين بمهنة الغوص، وبخاصّة معاناة البحّارة وما تفيض به نفوسهم من شوقٍ وولّه إلى الأهل والدِّيار، إلى جانب الحكايات والقصص التي تدور حول نفس الموضوع أو وصف ما يشاهدونه أو يسمعون منه من حكاياتٍ عن الغرائب والجنّ وأهوال البحر. ومن أهمّ ما يميّز الموروث الثقافي الشعبي، ما كان يُعرف بـ "النهمة" وهي فنٌّ موسيقيٌّ غنائيٌّ يهدف إلى الترويح عن البحّارة ورفع معنوياتهم للعمل. وعادةً ما يتولّى القيام به أشخاصٌ متميّزون في هذا المجال، يقومون بترديد القصائد والأغاني والأهازيج الملحّنة على نحوٍ جميلٍ.

يذكر بعض الرواة الذين تمَّتْ مقابلتهم بعض أسماء النّهّامين المشهورين، منهم: مزين وعبد الله محمود من دبي، وجمعة فيروز بو سماح من الشارقة، والنهام محمد بن سلطان من عجمان، وسيف الزبادي من أم القيوين، ومبارك حارب بن سمرة من رأس الخيمة.



قَصَائِدُ الْغَوْصِ

مقتطفات من قصائد شعراء الغوص (شعراء اللؤلؤ)

برع شعراء الإمارات، خاصة أولئك الذين خاضوا التجربة واختبروا حياة الغوص على اللؤلؤ عن كثب، سواء كانوا من الغاصة أو النواخذة أو الطواشين. كان اللؤلؤ قد ألهم هؤلاء الشعراء فجادت قرائحهم بالقصائد التي تضمّنت المعاناة من حياة البحر والغوص وفراق الأهل والأحبة، كما عبّرت عن آمالهم وأحلامهم ولم تخلُ من الحكمة والموعظة وغيرها من الجوانب الأخلاقية والإنسانية.

1 - من قصيدة للشاعر "أحمد الهاملي":

بوخذ براق اترسل	فيه الحواجب سهم مسلول
بو مضحك ياضي ويشعل	به در به لولو به اعسول

2 — من قصيدة للشاعر "خلفان بن يدعوه":

واحسرتي ضاق الفضابي	يوم ابعدونني عن حبيبي
في خن ساعي م الخشابي	سلك ومجره المغيبي
ما همني غوص ولا بي	برد ولا غزر الغبيبي
لي صاحب وصله ثوابي	ما هوب مزرة وعيبي
يختال في برد الثيابي	لي هب له شرتا المغيبي
ريان من فرط الشبابي	معنى وله شي عجبي
خصره هضيم وكشح نابي	والعود كالغصن الرطبي
عليه وضاح الانيابي	سلام مني بتعربي
ألذ من ذوق الشرابي	وأخن من مسك وطبي

3 من قصيدة للشاعر "راشد الخضر":

والعسل من ربحه ايدوبه

بومبسم لولو ومرجان

4 - من قصيدة للشاعر "محمد بن علي الكوس":

علق هوا الشرجي وياني
فزيت ساعة ما لفاني
عن سيدي ظبي الدماني
حلو الجدم زين المعاني
رحبت به باعداد ما دار
ياحي م اللي ناجل اخبار
لي يرتعي من روس الاشجار
بوخال بو خلخال و هيار

٣- من قصيدة للشاعر "من هو الشاعر (من تسجيل سيف الزبادي)"؟

جلو بي في تالي الليل
ضاق الفضاي يا هل الجيل
ألعي على اللي جابع بشيل
معلل الحنا تعليل
واصبحت عند دبي مختار
واسمعت عما صار في الدار
والعطر لي في منحره سار
سيس قصر وابنا له يدار
لي في حشايه دايس بريل
متنومسين وياه وانميس
الغوص لا يانا ولا صار
ببشوت وباشالات كبار

النَّهْمَة:

النَّهْمَة هي نوعٌ من أنواع القصائد أو المواويل والأهازيج المغنَّاة المرتبطة برحلة الغوص. وتتألف النَّهْمَة من أبياتٍ شعريَّةٍ قصيرة. ويُعتبر وجود النَّهْم؛ أي الشخص الذي يؤدِّي النَّهْمَة على ظهر السفينة ضرورياً، لبثِّ الحماس بين أفراد طاقم العمل، وهو إمَّا أن يكون متفرِّغاً لهذا الدَّور أو يُكلِّف بذلك أحد الغاصة أو أحد السيوب الماهرين بأدائها. ولهذا الغناء البحري قواعده من حيث اللَّحن والكلمات. وتُقَسَّم النَّهْمَات لدى أهل الإمارات إلى "حدوات"، مثل حدوة "الير" أيَّ التَّجديف، وحدوة "ير السن" أيَّ المرسى، وحدوة "الخطيفة"، و"مد الغوص" وغيرها.

1 - من حدوات الير:

يوم رق الليل واسودي
بت أجاسي صافي الخد
يا هموم بت أجاسيها
دمعتي م الموق ياريها

وأيضاً:

يا بني مبرد هواه	شرتا لفح من بره
حتى نوصل جداه	هيا اعللوا باليره
لي بالطيب امحشاه	بوقصة مسمرة

وأيضاً:

يا لسن واجزر الدوي	يا هل الزاروق سنو بي
وصلوني دار محبوبي	يا علي ترفات الينوبي
عقلي معهن ومسلوبي	قبلكم محسن بغا يذوبي
يا لسن واجزر الدوي	يا هل الزاروق سنو بي
وصلوني دار محبوبي	يا علي ترفات الينوبي
عقلي معهن ومسلوبي	قبلكم محسن بغا يذوبي

٢- ومن حدود مد الغوص:

يا ذا الشراع الدابر	غدا لا يزيث بخير
ذكرت قلب صابر	وانوى على المسير

غناء اللؤلؤ:

تردد هذه الأغاني الخفيفة على ألسنة البحارة، وهم يحملون "جفران" *23 الحمار إلى فنة السفينة لفلقه واستخراج اللؤلؤ. وفي هذه الأثناء تلهج حناجر البحارة بالغناء للؤلؤة الثمينة التي طال انتظارها، وتسمى اللؤلؤة "الخالية من العيب"، ومما يُنشدونه:

بثينا بثينا	بثينا يا زعولة
بثينا بثينا	غم على الحاسدينا

و:

إطلعي فوق فوق	إطلعي يا ام العيول
إطلعي ما فيج عوق	إطلعي م العام الاول

إطلعي فوق فوق

القصص والحكايات الشعبية:

تدور هذه القصص والحكايات حول التحدييات والمخاطر التي يواجهها البحارة أثناء عملهم في عرض البحر، كما تشتمل على الحكمة والتسلية والترفيه عن المستمع. وقد تعددت هذه القصص، فمنها ما هو واقعي ومنها ما هو متخيّل، إلا أنّها لا تزال ماثلة في الذاكرة الشعبيّة، ومن أمثلة هذه القصص:

- رُوي أنّ غوّاصاً على ظهر إحدى سفن الغوص تُوفيّ، فوضعه البحارة في منطقةٍ بالسفينة تسمّى "الجمرة"، وبعد التأكد من وفاته قرّروا دفنه في جزيرةٍ قريبةٍ من المغاص، واستدعوا لذلك شخصاً لديه خبرة في حفر القبور، فتوجّه إلى مكانٍ لحفر القبر، بعدها عاد البحارة إلى السفينة ليحملوا الميّت إلى قبره، وهنا حدثت المفاجأة حين وُجد الميّت حياً، ويبدو أنّه قد أفاق من إغماءاته، فأرسلوا إلى حافر القبر رجلاً يخبره بأنه لا حاجة للقبر؛ لأنّ الميّت قد عادت إليه الرّوح، وما إنّ وصل إلى موقع القبر حتّى أذهلته المفاجأة، فقد رأى أمامه حافر القبر وهو يضع رأسه على رماله وقد فارق الحياة قبل أن يصله الخبر، فهرع عائداً إلى رفاقه على ظهر السفينة ليخبرهم بما شاهد، فما كان من البحارة إلا أن غادروا السفينة متوجّهين إلى موقع القبر لدفن حافره ومعهم رفيقهم الميّت الذي عادت إليه الحياة.
- ومن القصص التي يرويها المشتغلون في الغوص، أنّ بعض الغاصّة كانوا يعودون إلى سطح السفينة وهم يقصّون على رفاقهم ما شاهدوه من مناظر وعوالم غريبة تحت سطح الماء. ومن أمثلة ذلك ما رواه بعضهم من رؤية امرأةٍ تمشط شعرها (تسحي رأسها). ويُحكى أنّ رجلاً يسمّى "بن هندي" عاد إلى ظهر السفينة فأخبر رفاقه بأنه شاهد قافلةً من الجمال تسير في قاع البحر، فعاد إلى السطح فوراً ليخبرهم بما رأى إلا أنّ رفاقه لم يهتمّوا بذلك وأمروه بالعودة إلى البحر، ليفاجأ الجميع باختفائه من القاع، حيث لم يُعثر له على أثر.
- ومن الموروث الشعبي الحكائيّ الإماراتي، حكاية "بو درياه"، وهو شخصيّة خرافيّة ترتبط بالبحر والسفر ومغامرات أهله مع القوى الخارقة. ويُقال بأنّ هذا الكائن الخرافي -أو كما يتخيّلونه- رجل قوي ضخم مُخيف،

كان يتسلَّل إلى داخل السفن في عرض البحر في فترةٍ معيَّنةٍ بين صلاة العشاء وأذان الفجر، ليعبث بمحتويات السفينة ويختطف أحدَ بحَّارتها ليأكله كوجبةٍ، ثم يُغرق السفينة بأكملها قبل أن يغادر المكان. وكان أصحاب السفن يلجؤون إلى الحيلة من أجل طرده، وهي أن يصيح من يشعر بوجوده: "هاتوا الميشارة والجدوم"؛ أي المنشار والقدوم ليهرب على الفور.

أمثال وحكم:

قد شاعت بين أهل الإمارات أمثالٌ كثيرةٌ مرتبطةٌ بالبحر، مصدر رزقهم من السمك واللؤلؤ، توضح العلاقة التي كانت تربطهم به، نورد بعضها فيما يأتي:

- ١- الغوص قطعة من جهنم لو فيه روبيات: لقد شبَّه الإماراتيون البحر بقطعةٍ من جهنم، وذلك لصعوبة العمل فيه على الرِّغم من الرزق الذي يأتيهم منه.
- ٢- اش لك بالبحر وأهواله وأرزاق الله على السيف: ويُقصد بالسيف هنا شاطئ البحر، ومعنى المثل هو عدم المخاطرة بالعمل في لجَّة البحر ومكابدة الصَّعاب، ويُقال هذا المثل كنصيحةٍ لهؤلاء الذين يخاطرون في طلب الشَّيء.
- ٣- الشَّيْص في الغبَّة حلو: والشَّيْص هو الرُّطب غير المتخلَّق، بينما الغبَّة هي عمق البحر. ويُضرب هذا المثل لأهميَّة الرِّضا بالشَّيء القليل أو الرَّذيء، في وقت انعدام البديل الجيِّد أو الأفضل.
- ٤- الماية ما تسير عن العاف: والماية هنا موج البحر، والعاف هو شاطئ البحر، ويُضرب للشخص الذي يحبُّ شخصاً ويرتبط به بقوة، بحيث لا يفارقه، كما هي عادة أهل البحر الذين تعودوا عليه ولا يمكن لهم أن يتركوه.
- ٥- نوخذايه دوك بيزاتك وين ريت الزود باخاير: ويُضرب في رغبة الغوَّاص في الحصول على الرِّيح الأعلى الذي ربما تَرَكَ من أجله العمل لدى النوخذة الذي كان يعمل معه، ليذهب للعمل لدى نوخذة آخر بأجرٍ أعلى.

الآثار الاجتماعية المترتبة على اقتصاد اللؤلؤ:

كما كان لاقتصاد الغوص لا سيما في فترة انتعاشه آثارٌ إيجابية؛ تجسّدت في المردود المادي وبثّ القيم الأخلاقية والإنسانية، كالتكافل والتكاتف والتآزر وفعل الخير، فقد كانت له آثاره الأخرى التي انعكست على حياة الناس في مجتمعات الخليج العربي ما قبل مرحلة النفط. ولعلّ من أهمّ تلك الآثار، ما يتعلّق بتأثير الجانب الاقتصادي في منظومة الحياة الاجتماعية، وتكوين الشرائح المختلفة حسب تدرّجها الاقتصادي. ويوضّح الباحثون ذلك على النحو الآتي:

1- **الشريحة العليا:** وهي شريحة التجار، أو الممول الرئيسي للحركة الاقتصادية. وهناك تجار اللؤلؤ، وهم في الغالب من الجنسية الهندية. والتجار المحليون، وهم إمّا تجار صغار أو وسطاء في عمليات البيع والشراء، ومن بينهم بعض النواخذة.

2- **الشريحة الدنيا أو العاملة:** وهي في غالبيتهم من البحّارة، ولعلّ أهمّ ما تميّزت به هذه التركيبة الاجتماعية، هو وضوح الفجوة الاقتصادية بين الشريحتين.

وتتلخّص العوامل التي ساعدت على ظهور هذه الفجوة في الإمارات في تلك المرحلة، فيما ما كان يُعرف بظاهرة "الديون" التي يتكبّدها الغوّاصون والبحّارة، حيث يضطرّ الغوّاصون إلى الاقتراض من التجار أو ملاك السفن لتمويل أسرهم أثناء غيابهم، وفي الكثير من الأحيان تفوق الديون مقدرة الغوّاص على السداد، ما يؤدّي إلى تراكمها ومعاناة البحّارة الذين يجدون أنفسهم خاضعين لقيود صارمة، فلا يستطيعون تركّ العمل أو الانتقال إلى نوكدا آخر، وحتى في حال وفاتهم يحول الدّين إلى ورثتهم^{١*}. ولعلّ ذلك ما أوجد حتى على البرّ حياةً مشابهةً اقتصادياً. وفي كتابه "أبناء السندباد"^(٢٢) يشير القبطان "ألان فيليز" إلى هذه المعاناة التي لحقها أثناء رحلته في الخليج العربي سنة ١٩٣٨م. إلا أنّ ما شهدته المنطقة في المرحلة التالية من تفهقر في الأوضاع الاقتصادية، أدّى إلى نوع من التغيير في وضع الشريحة العليا، نجم عنه اختفاء هذه الشريحة من التجار، بالتزامن مع اكتشاف النفط وظهوره كمصدر للدّخل القومي، ونشوء مهّن جديدة مرتبطة بهذا التحوّل؛ انتقل إلى العمل فيها أبناء الشريحة الدنيا، ويمكن تلخيص ذلك كالآتي:

انحياز مهنة الغوص على اللؤلؤ وسنة الجوعة "سنة اليوغة":

شهدت الفترة ما بين نهاية العقد الأوّل وبداية الأربعينيات من القرن العشرين تذبذباً كبيراً في تجارة اللؤلؤ واقتصاديات الغوص، ما أدّى في نهاية المطاف إلى انحياز سوق الغوص على اللؤلؤ. وتزامن هذه الفترة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، وما تسبّبت فيه من مشكلاتٍ

(٢٢) ألان فيليز، ١٩٤٠م.

اقتصادية عالميّة. ولعلّ جملة أخرى من الأسباب الخارجية في أغلبها، كان لها الأثر البالغ في هذه التّدايعات التي شملت منطقة الخليج العربي بأكمله، وتتلخص هذه المسببات في:

غزو اللؤلؤ الاصطناعي لأسواق الخليج العربي في منتصف العشرينيات:

لعلّ ما شهدته منطقة الخليج من انتكاسة في صناعة الغوص، يُعدّ منعطفًا تاريخيًا لم يقتصر على هذه المنطقة فقط، بل تعدّاها ليشمل الجزء الأكبر من العالم.

إمبراطور مزارع اللؤلؤ الصّناعي "كوكيشي ميكيموتو"

لدى وصوله إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٢٧م، لتدشين حملته لِلؤلؤ الاصطناعي، التقى "ميكيموتو" بمخترع المصباح الكهربائي "توماس أديسون"، وممّا قاله أديسون أثناء استقباله: "لقد حقّقت معجزة علميّة"، فأجابه ميكيموتو: "أنت أضأت العالم وأنا أضأت أعناق النساء".

منذ عشرينيات القرن العشرين، تمخّضت جهود اليابانيين لتطوير نوعٍ مستزرعٍ من اللؤلؤ،

عن إغراق الأسواق بهذا النوع المكتشف من اللؤلؤ. وقد شكّل ذلك منافسةً حقيقيةً على الرّغم من انخفاض أسعاره عن أسعار اللؤلؤ الطبيعي. ففي "سنة ١٩٢٤م انتشر اللؤلؤ الاصطناعي في دبي والبحرين، وبقية مدن الخليج. ولم تستطع الحكومات المحلية في المنطقة مواجهة الانتشار السريع لهذا اللؤلؤ، الذي بدأ بعض التجّار يخلطونه باللؤلؤ الطبيعي ويبيعونه للمستهلكين، ممّا أفقد اللؤلؤ الطبيعي قيمته الحقيقية". والواقع أنّ محاولات اكتشاف اللؤلؤ الصناعي كانت قد سبقت المحاولات التي قام بها ميكيموتو. وكان الصّينيون توصّلوا في القرن التاسع عشر الميلادي إلى صناعة "اللؤلؤة الفقاعة" بواسطة استعمال محار بلح المياه العذبة. فيما بدأ ميكيموتو أولى تجاربه عام ١٨٨٨م، لتكتشف زوجته أولى محاولاته الناجحة سنة ١٨٩٣م، ثمّ تصرّخ: "لقد وجدت لؤلؤة". كانت تقنية استزراع اللؤلؤ لديه تعتمد على إدخال جسم غريب (بعض الطفيليات الموجودة في البحر كحبة الرّمل أو حشرة صغيرة أو قشرة سمك، في القواقع، ثمّ وضعها في المياه الدافئة لتبدأ في إفراز مادّة جيريّة فوسفوريّة تُحاصر الجسم الغريب، وهكذا يتم إنتاج اللؤلؤ. ومع بداية إنتاجه اللؤلؤ المستزرع العالي الجودة في مزرعته بجزيرة "تاتوكوجيما" بعد خمسة عشر عاماً من التجربة، فتح "متجر ميكيموتو للؤلؤ" في "جنزا" بمدينة طوكيو.

ولم يكن اختراع اللؤلؤ المستزرع وحده كافياً للقضاء على الانتعاش الذي شهدته أسواق اللؤلؤ الخليجية، بل إنّ ما عزّز من الأثر السلبي لهذا الاكتشاف، هو قيام الهند بعد حصولها

على الاستقلال عام ١٩٤٧م بإصدار قانونٍ لحظر استيراد ما تعتبره غير ضروري من البضائع كاللؤلؤ. وقد عانى أفراد من شريحة التجار والشريحة العاملة في الغوص من آثار الكساد الذي خلفه ذلك، وأعقبته أزمة اقتصاديةٌ حادّةٌ ظهرت بوادرها بوضوح في منطقة الخليج عامّة^(٢٣)، كما كانت هناك أزماتٌ أخرى لها تأثيرها على الوضع الاقتصادي للمنطقة، منها انهيار سوق المال في نيويورك (وول ستريت) سنة ١٩٢٩م. غير أنّ هذه الأزمة لم تقتصر على منطقة الخليج أو الإمارات وحدها، بل ظهرت تداعياتها على مستوى العالم. ويُذكر أن أكثر الأسواق الخليجية تضرراً كانت دبي والكويت والبحرين. ففي سوق دبي وصل تجّار اللؤلؤ إلى حدّ الإفلاس، نتيجة امتناع عددٍ كبيرٍ من سفنهم عن الخروج إلى البحر لتردّي المردود المادي. إضافة إلى استغلال التجّار الأجانب تردّي الأوضاع الاقتصادية لرفع الفوائد على القروض التي كان يأخذها التجار من أهالي المنطقة، مما زاد من تداعيات الأزمة على المستوى المحلي. ولعلّ أبرز ما في هذه الأحداث هو استمرار وتفاقم أزمة انهيار اقتصاد الغوص لمُدّة تزيد على العشرين عاماً، لم تتعاف معها اقتصادات منطقة الخليج تماماً، إلا باكتشاف النّفط واستثماره اقتصادياً في أربعينيات القرن العشرين، بهيمنة اقتصادياته على مفاصل الحياة اقتصادياً واجتماعياً وحضارياً. وكانت أولى بشائره قد ظهرت بشكل تجاريّ في أبوظبي عام ١٩٥٨م، وفي دبي سنة ١٩٦٦م، والشارقة ١٩٧٢م، تلتها عجمان وأم القيوين ورأس الخيمة.



(٢٣) (١) محمد فارس، ٢٠١٤م.

الختامة

نأمل أن يكون هذا البحث قد أسهم في تقديم معلومات مفيدة عن مرحلة لها أهميتها في تاريخ دولة الإمارات خاصّة ومنطقة الخليج العربي عامّة، هي مرحلة الغوص على اللؤلؤ "الرّواج الاقتصادي". كما أكّد على بعض الملامح التي تميّزت بها المرحلة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. وهي العناصر التي أسهمت في جعل المنطقة تلعب دوراً إستراتيجياً حضارياً على المستوى الإقليمي والعالمي. فعلى الصعيد الداخلي المحلي، تكوّنت المدن ذات الأهمية الإستراتيجية، كأبوظبي ودبي والشارقة وعجمان ورأس الخيمة وأم القيوين، كما تجلّت القوة الاقتصادية المتمثلة في الأساطيل البحرية لكلّ إمارة. لقد كانت مهنة الغوص على اللؤلؤ -على الرّغم من قسوتها- عصب الحياة للشرائح الاجتماعية كافّة تقريباً. وكما أفرزت شرائحها المختلفة، فقد لعبت تجارة اللؤلؤ دوراً تنافسياً، أثارَ مطاعم الكثيرين، وأثرت فيه الصراعات والأحداث الإقليمية والدولية، كالحروب العالمية، واكتشاف اللؤلؤ الصناعي، واهتزاز البورصات العالمية. وهو ما قاد في النهاية إلى إسدال الستار على هذه الحقبة التاريخية بأكملها، ليُفسح المجال للنّفط كمصدر قوّة اقتصادية جديد في المنطقة، لعب ويلعب دوراً مهماً في حياة مجتمعاتنا الخليجية المعاصرة، بما في ذلك استئناف عملية التطوّر الحضاري.



الشهادات الحية

- 1- عبد الله حمدان بن دلموج. (٢٠١٤م). دبي.
- 2- سلطان بن غافان. (٢٠١٤م). القهوة الشعبية. أم القيوين.
- 3- إبراهيم عبيد. (٢٠١٤م). القهوة الشعبية. أم القيوين.
- 4- عبيد سعيد بخيت. (٢٠١٤م). منتدى الأسرة. دبي.
- 5- محمد سيف عبيد حنظل المهيري. (٢٠١٤م). منتدى الأسرة. دبي.
- 6- عبد العزيز القصاب. (٢٠١٤م). منتدى الأسرة. دبي.
- 7- بطي فرج المحيري. (٢٠١٤م). جميرا. دبي.
- 8- سيف الزبادي. (٢٠١٤م). أم القيوين.



صور الوثائق (دفاتر الغوص، ناصر السركال)

[illegible]

اموالنا برآمد و از آن در حق ارباب و رعایا و بندگان
تأدیه نمود

وبقائه حيا وكرهه في الاعمال والهم والادب في الطلب لما له من فضل صديق حملي ارحم

[illegible]

1
 2
 3
 4
 5
 6
 7
 8
 9
 10
 11
 12
 13
 14
 15
 16
 17
 18
 19
 20
 21
 22
 23
 24
 25
 26
 27
 28
 29
 30
 31
 32
 33
 34
 35
 36
 37
 38
 39
 40
 41
 42
 43
 44
 45
 46
 47
 48
 49
 50
 51
 52
 53
 54
 55
 56
 57
 58
 59
 60
 61
 62
 63
 64
 65
 66
 67
 68
 69
 70
 71
 72
 73
 74
 75
 76
 77
 78
 79
 80
 81
 82
 83
 84
 85
 86
 87
 88
 89
 90
 91
 92
 93
 94
 95
 96
 97
 98
 99
 100
 101
 102
 103
 104
 105
 106
 107
 108
 109
 110
 111
 112
 113
 114
 115
 116
 117
 118
 119
 120
 121
 122
 123
 124
 125
 126
 127
 128
 129
 130
 131
 132
 133
 134
 135
 136
 137
 138
 139
 140
 141
 142
 143
 144
 145
 146
 147
 148
 149
 150
 151
 152
 153
 154
 155
 156
 157
 158
 159
 160
 161
 162
 163
 164
 165
 166
 167
 168
 169
 170
 171
 172
 173
 174
 175
 176
 177
 178
 179
 180
 181
 182
 183
 184
 185
 186
 187
 188
 189
 190
 191
 192
 193
 194
 195
 196
 197
 198
 199
 200
 201
 202
 203
 204
 205
 206
 207
 208
 209
 210
 211
 212
 213
 214
 215
 216
 217
 218
 219
 220
 221
 222
 223
 224
 225
 226
 227
 228
 229
 230
 231
 232
 233
 234
 235
 236
 237
 238
 239
 240
 241
 242
 243
 244
 245
 246
 247
 248
 249
 250
 251
 252
 253
 254
 255
 256
 257
 258
 259
 260
 261
 262
 263
 264
 265
 266
 267
 268
 269
 270
 271
 272
 273
 274
 275
 276
 277
 278
 279
 280
 281
 282
 283
 284
 285
 286
 287
 288
 289
 290
 291
 292
 293
 294
 295
 296
 297
 298
 299
 300
 301
 302
 303
 304
 305
 306
 307
 308
 309
 310
 311
 312
 313
 314
 315
 316
 317
 318
 319
 320
 321
 322
 323
 324
 325
 326
 327
 328
 329
 330
 331
 332
 333
 334
 335
 336
 337
 338
 339
 340
 341
 342
 343
 344
 345
 346
 347
 348
 349
 350
 351
 352
 353
 354
 355
 356
 357
 358
 359
 360
 361
 362
 363
 364
 365
 366
 367
 368
 369
 370
 371
 372
 373
 374
 375
 376
 377
 378
 379
 380
 381
 382
 383
 384
 385
 386
 387
 388
 389
 390
 391
 392
 393
 394
 395
 396
 397
 398
 399
 400
 401
 402
 403
 404
 405
 406
 407
 408
 409
 410
 411
 412
 413
 414
 415
 416
 417
 418
 419
 420
 421
 422
 423
 424
 425
 426
 427
 428
 429
 430
 431
 432
 433
 434
 435
 436
 437
 438
 439
 440
 441
 442
 443
 444
 445
 446
 447
 448
 449
 450
 451
 452
 453
 454
 455
 456
 457
 458
 459
 460
 461
 462
 463
 464
 465
 466
 467
 468
 469
 470
 471
 472
 473
 474
 475
 476
 477
 478
 479
 480
 481
 482
 483
 484
 485
 486
 487
 488
 489
 490
 491
 492
 493
 494
 495
 496
 497
 498
 499
 500
 501
 502
 503
 504
 505
 506
 507
 508
 509
 510
 511
 512
 513
 514
 515
 516
 517
 518
 519
 520
 521
 522
 523
 524
 525

وثنائى واحده وثنى ^{١٦} كبر مع لانه واده فى الطيبا لانه جوفها صبيته هى (وثنى
١٦- اول باران على عيب جوفها عذرة واثني على رضى لرب عيده (وثنى طلاله وده واده

[illegible]

فناطه منیرہ کی بیٹی

٤٢٠ قولوا يا ايها الذين آمنوا ان في خلقكم ارحاماً لكم انتم واولادكم

وحياتك كنيته واسمك في الكتاب المذكور على صلاتي حتى لا يخطئ

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

20/0

[illegible][illegible]

✓ 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

۲۴۷ عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

3. *Pinus sylvestris* - 5

Feb. 21, 1902

الحل: $\frac{1}{0.1}$

29
0.10
eis

عنه

1000
100
10
1
1000
100
10
1

حاصل ۶۴

التوقيت ٥٦:١١

21

الباغية

100

فولاد ایل بریغده و لری قیاس اراضه لایحه بنی علیا و امین و امین

[illegible][illegible]

Handwritten notes in Urdu script, likely bleed-through from the reverse side of the page.

۱۲۲

عدد الحروف

[illegible]

۱۳۰۰
 ۱۳۰۱
 ۱۳۰۲

[Faint handwritten notes in Urdu script]

Handwritten notes:

11
12

13
14

15
16

17
18

19
20

21
22

23
24

25
26

27
28

29
30

31
32

33
34

35
36

37
38

39
40

41
42

43
44

45
46

47
48

49
50

51
52

53
54

55
56

57
58

59
60

61
62

63
64

65
66

67
68

69
70

71
72

73
74

75
76

77
78

79
80

81
82

83
84

85
86

87
88

89
90

91
92

93
94

95
96

97
98

99
100

22

طوائف بحمان اندر رسد غنچه در

۱۰۰

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

١٧٥٦
٢٧
٢٧

٢٨٦٦
٥٥٧٧
٢٢٩٧
٥٥٧٧
١٧١٩
١٦٦٧
١٦٧٥

١٧١٩
١٦٦٧
١٦٧٥

١٦٧٥

١٦٧٥

١٦٧٥

١٦٧٥

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

عند بلوغ
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر
السن الحادي عشر

١٢٥٢
١١

بياه جاري

طوبى	٢١٣	قوة ملاك امانه	٠٠٩
بيلو	٠٠٣٨	فك	٠٠٧
فرايم للحج	٠٠١٨	طحا	٠٠٣
دهان	٠٠١	سنى ملاك امانه	٠١٢
	٢٨٢١١	قلاص	٠٢٧
		كعود	٠٠٢
		حال ديك	٠٠١٠
		بغية دقنايل وملا	٠٠٣
		جراقة	٠٠٢
		بلو خبط	٠٠٧
		بغية ملاك وجرام	٠٠٧
		عنى عتبر جاني ابره	١٠٠١١
		عنى يدور مستقر	٠٦٤
		ثلاث عشر	٠٩١
		كفر وساريد	٠٠٢٨
		ابيا الحفان	٠٠١٤
		حلول وزعت	٠٠١٤
			٢١٢٥

لنا مقبلا
بيلو
ملاص
١٥
٢٨

المصادر والمراجع العربية

- ١- ألبير لوندرو (٢٠٠٧م). صائد اللؤلؤ. ترجمة د. منذر الخور. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ٢- ألن فاليرز. ترجمة د. نايف خرما. أبناء السندباد. ٢٠٠٦م. مركز البحوث والدراسات الكويتية. النسخة العربية.
- ٣- عبد الله بن إبراهيم العسكر. (٢٠٠٩م). الألوكة الثقافية. <http://www.alukah.net>
- ٤- عبد الله خليفة الشمالان. (٢٠١٢م). صناعة الغوص. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ٥- عبد الله يوسف الغنيم. كتاب اللؤلؤ. دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع. 1998م. دولة الكويت.
- ٦- عبيد راشد بن صندل. (٢٠٠٤م). الأمثال و الألغاز الشعبية في دولة الإمارات. مركز زايد للتراث والتاريخ. دولة الإمارات العربية المتحدة. أبوظبي.
- ٧- علي إبراهيم الدرورة. (٢٠٠٣م). الكنايات الشعبية الملاحية في الإمارات والخليج العربي. مركز زايد للتراث والتاريخ. أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.
- ٨- محمد بن فارس الفارس. (٢٠١٤م). صفحات من تاريخ الإمارات والخليج: قراءة في الوثائق البريطانية. الجزء الثاني. الأهلية للنشر والتوزيع. عمان، الأردن.
- ٩- محمد بن فارس الفارس. (٢٠٠٠م). الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة.
- ١٠- لوريمر. ج. جي. دليل الخليج وعمان ووسط الجزيرة العربية (النسخة العربية). ١٩٦٧م.
- ١١- نجيب عبد الله الشامسي. الإمارات في سفينة الماضي ١٩٩٠م. مؤسسة دار الفكر للطباعة والنشر. أبوظبي. دولة الإمارات العربية المتحدة.
- ١٢- كزافييه بيغان بيلكوك "الإمارات: التاريخ الأسطوري لساحل اللؤلؤ" ١٩٩٥م. مطبعة الإمارات. دبي، الإمارات العربية المتحدة.
- ١٣- هوبير باري وديفيد لام. ترجمة عبد الودود عمراني. اللؤلؤ. ٢٠١٠م. الدوحة، قطر.

English References

1. Anita L.P.Burdett. (1995). RECORDS OF THE PERSIAN GULF PEARL FISHERIES. 1857–1962. Volume 1: 1857–1914.. Great Britain: Archive Editions.
2. ROBERT CARTER. (2012). SeaofPearls: SEVEN THOUSAND YEARS OF THE INDUSTRY THAT SHAPED THE GULF. Arabian Publishing Ltd. London, UK.
3. Xavier BEGUIN BILLECOCQ. (1995). THE EMIRATES, THE FABULOUS HISTORY OF THE PEARL COAST. Dubai, United Arab Emirates.
4. BEATRIZ CHADOUR-SAMPSON WITH HUBERT BARI. (2013). Pearls. v& A Publishing. London, UK.



المُحتوى

٧	مقدمة المركز
٩	افتتاحية
١١	تمهيد
١٣	الفصل الأول:
١٩	الفصل الثاني: مصائد اللؤلؤ "الهيرات": مصادر الدخل القومي
٣٣	الفصل الثالث: منظومة العمل والتقسيم الوظيفي المعمول به في الإمارات
٤١	الفصل الرابع: ثقافة اللؤلؤ (الإرث الثقافي لمرحلة الغوص على اللؤلؤ)
٤٣	قصائد الغوص مقتطفات من قصائد شعراء الغوص (شعراء اللؤلؤ)
٥١	الخاتمة
٥٢	الشهادات الحيّة
٦٢	المراجع والمصادر العربية
٦٣	English Refereces





ISBN 978-9948-22-594-2